السبت 4 كانون الثاني 2020
العدد 3947 السنة الرابعة عشرة
Samedi 4 Janvier 2020 no 3947 14ème année

32 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

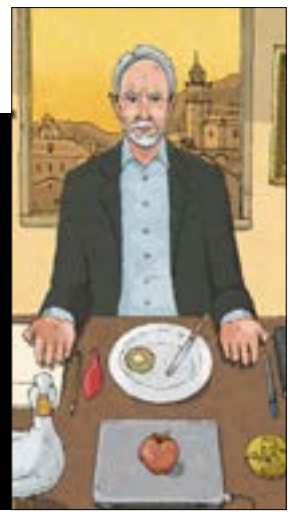

● ج. م. كويتزي
موت يسوع
نهاية المرحلة

● الحشيش
في الموروث
العربي والاسلامي

المقامرة الكبرى

[11 ـ 2]

(الأخبار)

على الغلاف

اسرائيل قدمت الأسباب الموجبة: لم نعد نتحمل والأعداء على باب الدار

مقامرة أميركا: اللعب باسم كلّ الوكلاء

(الأخبار)

إبراهيم الأمين

ماذا يعني أن تتّخذ حكومة أكبر وأقوى دولة في العالم قراراً وتنفّذه عنوانه: اغتيال القائد العسكري العام لمحور المقاومة قاسم سليماني؟

منطقي أن يقفز الى الذهن، مباشرة، افتراض أن أميركا مستعدة للذهاب الى أبعد الحدود. وإذا ما جرت استعادة ضربة القائم قبل أيام، والتنكيل بعشرات المقاتلين في نقطة تخصّ مريدي سليماني، يمكن تثبيت الصورة بالقول إن أميركا تقول لإيران وحلفائها: اسمعوا، أنا مستعدة للذهاب الى أبعد مما تعتقدون، فاعقلوا!

هذا يعني، ببساطة، أن الرسالة وصلت. وهذا يعني أن الأميركيين تعبوا وملّوا من كل أنواع الرسائل الملتوية. هم لا يقفون كثيراً عند اتهامهم بالفشل. أصلاً، لا أحد يحاسبهم. لذلك، يمكنهم أن يجربوا مرة ومرتين وألف مرة، فإذا ما نجحوا احتفلوا، وإذا فشلوا تراجعوا ليعاودوا الكرّة من جديد. في حالة إيران ومحور المقاومة، تعب الأميركيون من كل محاولات الهدم. لا حروب إسرائيل نفعت في سحق عظام حزب الله أو حماس أو الجهاد الإسلامي في فلسطين ولبنان، ولا كل مجانين العالم مدعومين بكل استخبارات العالم وجيوشه نجحوا في إسقاط سوريا. ولا كل الفشل السياسي والاقتصادي والوجود العسكري نجح في إمساكهم بكل العراق، ولا كل همجية آل سعود وأقرانهم من أمراء الصحراء نفعت في تركيع اليمن. وفوق كل ذلك، يرفع هؤلاء الأعداء رؤوسهم، ويعملون للمزيد، يبذلون كل الجهود العسكرية والأمنية والاقتصادية والسياسية لتحقيق «معدلات عالية من نموّ القوة»، الأمر الذي يعرف الإسرائيليون ومعهم عرب أميركا معنى أن يتحوّل ذات صبيحة الى فعل متكامل...

> **ما يحصل عملية «تصفية حساب بمفعول رجعي» قامت بها الولايات المتحدة أصالة عن نفسها ونيابة عن كل حلفائها وفي مقدمهم اسرائيل والسعودية**

بهذا المعنى، يمكن فهم خلفية القرار الأميركي باغتيال القائد سليماني، ومعه أبرز قادة المقاومة العراقية أبو مهدي المهندس. وبهذا المعنى، يمكن التعامل مع ما يحصل على أنها عملية «تصفية حساب بمفعول رجعي»، قامت بها الولايات المتحدة بالأصالة عن نفسها، وبالنيابة عن كل حلفائها في المنطقة، وعلى رأسهم إسرائيل والسعودية.

ولن لا يعرف ما الذي كان يحصل خلال العامين الماضيين، يمكن أن ندلّه على خطاب استراتيجي ألقاه رئيس أركان جيش العدو الجنرال أفيف كوخافي، قبل نحو أسبوعين في هرتسيليا، قدم فيه ما يمكن وصفه اليوم، بـ«الأسباب الموجبة لعملية الاغتيال».

الجنرال الإسرائيلي اختصر المشهد الإقليمي لناحية المخاطر التي يشكّلها محور المقاومة بكل أطرافه. وهو أشار مراراً الى قوة القدس في الحرس الثوري الإيراني، ودورها في رفد فصائل المقاومة بالعتاد النوعي، ليخلص إلى أن المطلوب توجيه ضربة ردعية لهذا الطرف. وهو ما يعيد الى الأذهان كلاماً تردّد مراراً وتكراراً في الآونة الأخيرة، عن رغبة أكيدة للعدو بتصفية اللواء سليماني.

قال كوخافي: «يوجد تغيير وتفاقم في التهديدات في كل المناطق التي تحيط بإسرائيل في الدائرة الأولى، وزيادة كبيرة في النشاطات السرية التي تركّز في الأساس على منع تعاظم قوة القدس في سوريا ومنع تهديد الصواريخ الدقيقة. سنواصل العمل في كل الدوائر وكل الدول». وانتقد بحسرة غياب ردود الفعل من دول الخليج والولايات المتحدة حيال الهجمات الإيرانية على منشآت النفط، مشيراً الى أنه «كان من الأفضل بكثير لو لم نكن وحدنا». وهو قال بعبارات واضحة وشفافة: «عندما تجتمع التكنولوجيا المتوفرة مع أفراد متطرفين وأعداء لدودين، لست بحاجة إلى صناعة عسكرية أو قوة سياسية لتعطيل الـ«GPS»، أو لامتلاك قدرة اختراق في السايبر. والصناعة العسكرية الإيرانية أكبر من كل الصناعات الأمنية في إسرائيل». كما كشف كوخافي أن قوة القدس في سوريا وحزب الله تمتلك أجهزة لتعطيل موجات الـ«spectrum»، وصواريخ الدفاع الجوي، و«نحن نبذل جهداً كبيراً لعدم السماح لأعدائنا بالتجهز بسلاح دقيق، وسنقوم بذلك بشكل سري وعلني وأيضاً بالمجازفة بمواجهة. وستكون هناك حالات تجازف فيها إسرائيل حتى عتبة المواجهة من أجل إحباط الصواريخ الدقيقة في الوقت المحدد»، وستواصل هذا النشاط لمنع تمركز «قوة القدس» في سوريا ومنع تهديد الصواريخ الدقيقة في كل أنحاء الشرق الأوسط.

وسط هذا المستوى العالي من الحافزية الإسرائيلية، لم يتّعظ الفلاسفة العسكريون في ابتداع المصطلحات التي توفر حلولاً لعقدة أن العدو غير قادر على شن حرب شاملة الآن. قالوا، في فترة سابقة، إن عدم حصول الحرب لا يمنع حصول «معارك بين الحروب». وعندما احتدمت المواجهات داخل دول الطوق، صاروا يتحدثون عن «مواجهة» أو «صدام» ما يمنع أحداً من الذهاب نحو الحروب. ومع فشل كل تجربة، ابتدع الفلاسفة إياهم الآن مبدأ «الأيام القتالية»، أي تلك التي تشير الى احتمال حصول مواجهة عسكرية تستمر لفترة زمنية وجيزة، ولا تستخدم فيها كل الأسلحة، وتنتهي بفرض وقائع جديدة أو قواعد لعبة جديدة.

عملياً، استنتج الأميركيون أن إسرائيل وبقية حلفائها لم يعودوا قادرين على القيام بالمهمة وحدهم. هي المرة الأولى التي تعرف فيها أميركا أنها معنية بالقيام بالعمل مباشرة. الآن، لن نسمع كلاماً عن أموال ودعم وبدل حماية وخلافه. الآن، أميركا تريد أن تحمي مصالحها، وتحمي حلفاءها الذين هم جزء من مصالحها. ولذلك، فإن فهم الواقع السياسي كان يقود الى أن الأميركيين ومعهم إسرائيل والسعودية في وارد القيام بأمور كثيرة لتحقيق أهدافهم. لكن، هل كان أحد يقدّر بأن يقدموا على ضربة كالتي حصلت أمس؟

لنضع جانباً كل التحليلات والتكهّنات. ولنتوجّه مباشرة صوب النتائج العملانية لما حصل. واشنطن تقول إنها مستعدة للعبة كبيرة جداً. وهي تحشد قواتها في البحر وفي قواعدها كافة، وتبعث برسائل نارية ودبلوماسية، قائلة إنها تريد «تأقلم إيران وانصارها» مع الواقع الجديد. أي أن أميركا قالت، بعد اغتيال سليماني، إنها فرضت واقعاً جديداً على الأرض، وعلى إيران الإقرار به، وإذا ردّت إيران فستردّ أميركا بما هو أقسى. وعند هذه النقطة، يصبح الكلام مجرد هذيان!

الواضح أن الأميركيين، عندما اتخذوا القرار، اعتبروا أن إيران ليست في وضع يسمح لها بالمواجهة الشاملة، وبالتالي، يراهنون على أن الرد الإيراني سيكون موضعياً بما لا يدفع نحو مواجهات كبيرة. في هذه الحالة، ستتصرف أميركا على أساس أنه تم ردع إيران، وأن العراق سيكون ساحة خالية لها، وأن المعادلات التي تحكم الواقع في سوريا ولبنان ستتغير هي أيضاً.

ولأن الأميركيين يعرفون أن إيران سترد، عمدوا الى توجيه الضربات القاسية جداً للقول إنهم لا يناورون، وإنهم مستعدون للذهاب أبعد من ذلك. وهذا يعني، بحسب طريقة تفكيرهم، أن إيران ملزمة بحساب جديد. ولكن، هل فهم الأميركيون ما معنى أن يقوم مرشد الثورة الإيرانية بالتصدّي شخصياً لإدارة الملف من الفه إلى يائه، وأن يضع في بيان مجلس الأمن القومي عبارة عن الرد الحتمي والقاسي، وأن يعمد مساعدون له الى التوضيح بأن الردّ لن يكون في ساحة محددة؟

ربما نجد عند الأميركيين والإسرائيليين، من يعتقد بأن بيانات طهران أو ردود فعل فصائل المقاومة تعبير عن غضب منطقي. وهنا، قد يكون مناسباً شرح جانب من الأمر: ذات مرة، وصف صحافي غربي رجال حزب الله في لبنان بأنهم «مجانين الله». العبارة، كانت تخفي إعجابه، ليس بقدرات هؤلاء ولا بتعلّمهم، بل في جرأتهم المحاطة بدرجة عالية من الحرفية والعلم. وميزة هذا النوع من «الجنون» أنه موجود في عقل قادة محور المقاومة. من السيد الخامنئي نفسه، الى الرئيس بشار الأسد في سوريا، الى السيد حسن نصر الله في بيروت، وصولاً الى قادة المقاومة في فلسطين واليمن. وهؤلاء، بحسبون الأمر من زاوية أن العقل يوجب الهدوء والتروّي، لكن الثبات يوجب الردّ على العدو بما هو أكثر إيلاماً. ولذلك، فإن المحسوم، عند هذا المحور، ليس أصل الرد فقط، بل الاستعداد أيضاً للذهاب أبعد مما تتصور أميركا نفسها. لأن الرد ليس هدفه الانتقام على الطريقة العشائرية، وإنما الردع. وهذا يعني، ببساطة، أنه مثلما قررت أميركا، بالنيابة عن كل أشرار العالم، أنه حان وقت الحساب مع قادة محور المقاومة، فإن من بيدهم الأمر عندنا قرروا، منذ وقت طويل، أنه وقت الحساب المفتوح مع قادة الشر في العالم. ومن يسعى الى الفوز، ينظر الى ما هو فوق الجباه لا إلى ما هو تحت النعال...

الرد على عملية الاغتيال هدفه القول للأميركيين وحلفائهم، وخصوصاً إسرائيل، إنه «لا يحق لكم الاستمرار في احتلالكم، ولن نسمح لكم بمواصلة عدوانكم، ولن نتركم من دون عقاب»!

شمشون الجبار أسطورة قابلة للتعديل. يمكن إضافة قليل من الحكمة والعقل، ثم دع للخالق أن يتصرّف في خلقه بما يريد!

كيف اغتيل القائدان؟

قرابة الواحدة والنصف بعد منتصف ليل الخميس ـ الجمعة، دوّت انفجارات عدة في محيط مطار بغداد الدولي. في البداية، الأخبار الواردة من المكان تحدّثت عن قصف بصواريخ «غراد» طاول أحد مدارج المطار. بعد ذلك، بدأت تتّضح الصورة: سيارتان تحترقان قرب مخرج منطقة الشحن في المطار، ويبدو أن مَن فيهما قد قتلوا. بعد ساعة من الأخذ والردّ، والإعلان والنفي، أُعلن الخبر: صواريخ أصابت السيارتين اللتين تقلّان مجموعة من قياديّي «الحشد الشعبي» ومدير التشريفات فيه و«ضيوفاً» أجانب. مباشرة، بدا أن القوات الأميركية هي التي نفّذت الهجوم الصاروخي، ليتبيّن في ما بعد أن الهدفين الأساسيين هما قائد «قوة القدس» في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني، ونائب رئيس «هيئة الحشد الشعبي» العراقي أبو مهدي المهندس.

في الرواية الأمنية للحدث، قدّم سليماني إلى بغداد على متن طائرة تابعة لشركة «أجنحة الشام» السورية. غادرت الطائرة مطار دمشق قبيل منتصف الليل، ووصلت إلى مطار بغداد بعد ساعة وأربع دقائق من التحليق. هناك، كانت سيارتان تنتظران «الحاج» على مخرج منطقة الشحن، في إحداهما أبو مهدي المهندس. وبحسب ما تؤكد مصادر أمنية عراقية، استهدفت السيارتان، فور انضمام سليماني وفريقه إليهما وانطلاقهما الى خارج المطار، بصواريخ عدة من طائرة مسيّرة أصابت السيارتين بشكل مباشر، لتحترقا بالكامل.

بعد نحو ساعة، تمّ التعرف إلى الشهداء على متن الموكب المستهدف. وهم، بالإضافة إلى القائدين، 4 عراقيين و4 إيرانيين من فريق سليماني الخاص. والشهداء العراقيون هم: محمد رضا الجابري، مدير تشريفات «الحشد» في المطار، حسن عبد الهادي، محمد الشيباني وحيدر علي. أما الشهداء الإيرانيون فهم: اللواء حسين جعفري نيا، العقيد شهرود مظفري نيا، النقيب وحيد زمانيان والرائد هادي طارمي.

(الأخبار)

حزن وغضب في طهران: ستثأر!

تشهد إيران بقيادتها، التي لم تهدأ عاصفة تصريحاتها، وبشعبها الذي ملأ عدداً من الساحات أمس، إجماعاً غير مستغرب على ضرورة الثأر من أميركا عقب اغتيالها قائد «قوة القدس» في الحرس الثوري الإيراني الجنرال قاسم سليماني، لكن شكل الردّ الإيراني المنتظر لا يزال مجهولاً.

كثيرة هي المنعطفات التي مرّت بها الجمهورية الإسلامية على مدار 30 عاماً من قيادة المرشد علي خامنئي، إلا أن هذا الأخير لم يسبق له أن تصدّر المشهد بنفسه كما فعل منذ ساعات أمس الأولى التي أعقبت إعلان الحرس الثوري استشهاد سليماني. حضور المرشد لم يقتصر على بيان التعزية الذي وجّهه إلى الشعب الإيراني، متوعّداً فيه بالانتقام من قتلة سليماني، بل زاد على ذلك ترؤسه الاجتماع العاجل للمجلس الأعلى للأمن القومي، وهو الأمر الذي لم يقم به إلا في حالات نادرة، أبرزها يوم عُقد المجلس لمناقشة سيطرة «التحالف الدولي» المشكّل برئاسة الولايات المتحدة ــ في حينه ــ على العاصمة الأفغانية كابول.

كما أن خامنئي لم يتاخر في تنصيب خليفة لـ«الحاج قاسم»، إذ كلّف بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة في البلاد العميد إسماعيل قاني بشغل المنصب. وجود المرشد في صدارة المشهد الإيراني اختُتم، أمس، بزيارة لمنزل عائلة الشهيد سليماني فور انتهاء اجتماع مجلس الأمن القومي، مؤدّياً واجب العزاء بـ«الفريق»، الرتبة الجديدة التي منحت للقائد الشهيد. ومن المنتظر، بحسب وسائل الإعلام الإيرانية، أن يؤمّ خامنئي، غداً، الصلاة على جثمان «الجنرال»، قبل أن يُنقل ليدفن في مسقط رأسه في محافظة كرمان جنوب شرق إيران.

> **استمرّ اجتماع المجلس الأعلى للأمن القومي أكثر من خمس ساعات**

تفاصيل ما قام به المرشد في الساعات التالية لعملية الاغتيال، والتي أظهرت تعاطياً مختلفاً من قِبَل الرجل الأول في الجمهورية الإسلامية، مقارنة بكثير من الأزمات التي شهدتها البلاد أو عاشها حلفاؤها في المنطقة، هي أدنى المؤشرات على خطورة المرحلة التي تمرّ بها طهران، إذ وضعت واشنطن بعملية الاغتيال النفوذ الإقليمي لإيران في دائرة الاستهداف المباشر، بعدما كانت تسعى إلى إجبار الإيرانيين على إنهائه بطريقة غير مباشرة من خلال الضغوط الاقتصادية، التي طمح الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى أن تؤدي إلى دفع القيادة الإيرانية لقبول الجلوس إلى مائدة التفاوض، ومناقشة النفوذ الممتدّ من طهران حتى غزة، مروراً ببغداد ودمشق وبيروت وصنعاء.

طهران، من جهتها، بدت مدركة هدف واشنطن من رفع مستوى المواجهة؛ إذ أكد خامنئي، في كتاب تكليف قائني بقيادة «قوة القدس»، أن «برنامج عمل تلك القوة هو نفس البرنامج الذي كان في فترة قيادة الشهيد سليماني». كما أن البيان الصادر عن المجلس الأعلى للأمن القومي، بعد انتهاء اجتماعه الذي استمرّ أكثر من خمس ساعات، توعّد أميركا بأن «تكون منطقة الشرق الأوسط بأسرها ساحة للردّ على هذه الجريمة». وفي هذا السياق، أشار رئيس لجنة الأمن والسياسة الخارجية في البرلمان، مجتبى ذو النور، إلى وجود 36 قاعدة أميركية تحت مرمى نيران إيران، مؤكداً أن بلاده تمتلك بكل سهولة القدرة على توجيه ضربة قوية لتلك القواعد.

على هذه الخلفية، يرى مراقبون أن لهجة الموقف الإيراني تُشير إلى أن طهران لن تتوانى، على رغم ما حصل، عن الحفاظ على نفوذها ومصالحها في المنطقة. لكن إزاء الإصرار الأميركي المقابل على إنهاء الوجود الإيراني في الإقليم، يقفز السؤال عما إذا كان الاشتباك بين الطرفين سيبقى على مساحة الإقليم الممتدّ خارج الأراضي الإيرانية، أم أن أميركا ستعمل مستقبلاً أمام الفعل الإيراني المستمر في ساحات المنطقة على رفع سقف هذه المواجهة، لتصل إلى مرحلة استهداف الأراضي الإيرانية مباشرة؟

(الأخبار)

(أ ف ب)

على الغلاف

(الأخبار)

«أنا قاسم سليماني»

خليل كوثراني

«أنا قاسم سليماني، قائد فيلق صاحب الزمان السابع التابع لمحافظة كرمان. ولدت سنة 1958 في قرية قنات ملك من ضواحي كرمان، حائز شهادة البكالوريا، متزوج ولديّ ولدان، صبي وبنت. قبل الثورة، كنت موظفاً في مصلحة مياه كرمان. وبعد انتصار الثورة الإسلامية، التحقت بحرس الثورة في الأول من شهر أيار سنة 1980. مع اندلاع الحرب وهجوم النظام العراقي على مطارات البلاد، بقيت مدة أحرس الطائرات في مطار كرمان. بعد شهرين أو ثلاثة على اندلاع الحرب، انطلقنا إلى جبهات سوسنكرد ضمن القوات الأولى المرسلة من كرمان والتي كان تعدادها 300 شخص تقريباً، بصفة قائد فصيل. في الأيام الأولى للتحاقي بالجبهة، اعتقدت بأن العدو قادر على القيام بأيّ شيء، لكننا تمكّنا في أوّل هجوم لنا من إرغامه على التقهقر من جانب طريق سوسنكرد إلى الحميدية، وكبّدناه خسائر أيضاً. وقد أدّى هذا الأمر إلى زوال التصوّر الخاطئ عن العدو من ذهني».

(الجنرال قاسم سليماني لمجلة «نداء الثورة» عام 1990)

بعد ثلاثين عاماً: هنا البوكمال

شاهده في البوكمال السورية. المعركة في دروتها، القتال كان من مسافة قريبة، وهو لا يبعد عنه سوى أمتار معدودات. في الخط الأمامي على مشارف المدينة، كان الشهداء يتساقطون، وذلك المقاتل في حزب الله يوزّع عيناً على العدو وأخرى على «الحاج» غير المبالي بسلامته الشخصية. كانت البوكمال آخر المعارك الكبرى التي خطّط لها وقادها وحقق فيها انتصاراً كما اعتاد.

الخروج إلى الضوء

منذ انطلاق الحرب على «داعش»، لم يعد قاسم سليماني «قائد الظل» كما لقّبته الصحف الأميركية في 2009 بعيد تجنب العدوّ إياه في عملية اغتيال عماد مغنية في دمشق. كان الحضور العلني للواء الإيراني في الميدان، بالنسبة إلى القيادة في طهران، خروجاً إلى

> ماذا عن ما لم ينجزه؟ يجيب أحد أكثر المقرّبين منه في الآونة الأخيرة: «القدس!»

الضوء وإيذاناً بنقطة تحوّل في ملف الوجود والنفوذ خارج الحدود. بدأت صور «الحاج قاسم» تنتشر في كل مكان، بين المقاتلين على مختلف الجبهات، وفي غرف العمليات والاجتماعات. عشية انطلاق المعارك في العراق، استأنف علاقة ثانية له مع مطار بغداد (محطته الأخيرة ليل الخميس - الجمعة الماضي)، حيث بات يتردّد باستمرار بموازاة خطّ إمداد لوجستي وتسليحي يرافق تحرّكاته. سريعاً، جمع حلفاءه في المقاومة العراقية ضدّ الاحتلال الأميركي، وراح يوزّع بتنقلاته المكوكية جهده باتجاهين: وضع الخطط لاحتواء التمدد «الداعشي» ولإطلاق المعارك المضادة، وإعداد برامج التنظيم والتدريب للفصائل المقاتلة قيد الإنشاء تلبية لفتوى المرجعية، أو تلك التي تحتاج تأهيلاً لاستيعاب آلاف المتطوّعين الجدد، إلى أن أطلقت عملية جرف الصخر بأكورة المعارك الواسعة.

ليلبس جند أميركا الحفّاضات

تلك كانت حرباً للدفاع عن العراق ولحماية حدود إيران وأمنها في آن. لكن لم تكن أولى المعارك التي خاضها لتحقيق الهدفين معاً. فالمساهم الأول في تأسيس تشكيلات المقاومة العراقية ودعمها، عمل وفق استراتيجية إيرانية تعتبر غزو بغداد توطئة لاستهداف إيران، ما يحتّم إشعال حرب استنزاف تُبعثر حسابات الأميركي الآتي إلى أفغانستان والعراق ومهدّداً سوريا. كان لسليماني ما أراد، وفي تلك المرحلة، بدا يتردّد اسم قائد «قوة القدس» في الحرس الثوري همساً، ويأخذ بالانتشار شيئاً فشيئاً. عادت يومها استراتيجية في السياسة الخارجية يقال إن واضعها هو الإمام الخميني: يد تضرب العدو ويد تفاوضه في مكان آخر في الوقت ذاته. تعزّز هذا المسار أخيراً في ظلّ ازدواجية الحضور الإيراني في المنطقة، بين ابتسامة جواد ظريف وعبوس قاسم سليماني.

يحفظ العاملون مع اللواء سليماني الكثير من القصص أيام المقاومة العراقية. هي شواهد على نبوغ عسكري وأمني تسبّب، غير مرة، في إحباط لدى ضباط ودبلوماسيين أميركيين راوغهم في الأمن والعسكر وحتى السياسة. وتلك صفة يعزوها عارفون بالرجل إلى موهبة متأصلة فيه تحاكي «الدهاء الفارسي» على حدّ تعبير أحدهم. قال دونالد ترامب أمس: «سليماني أسقط آلاف الأميركيين بين قتيل وجريح على مدى فترة طويلة». لم ينكر «الجنرال» هذه التهمة ولا الخوف الذي زرعته عبواته بالجنود الأميركيين، وقال في إحدى المناسبات ساخراً من جبن الجنود الأميركيين: إن القوات الأميركية كانت بحاجة لإمدادات من «حفّاضات البالغين».

«الفارس النبيل»

بالنسبة إلى أعدائه في الغرب، هو الرجل الثاني في الجمهورية الإسلامية. لكنه ليس كذلك في طهران، لا في النفوذ ولا الرتب. مع هذا، فهو آخذ منذ عقد مكان البطل الأسطورة. هو للإيرانيين القوميين بطل رمز يشبه أبطال الأساطير في الإمبراطوريات الفارسية الغابرة. لكنه ليس هكذا بالنسبة إلى نفسه أو «إخوته» الإسلاميين في الحرس الثوري وإيران والمنطقة عموماً. يرى نفسه «جندياً للولاية على طريق القدس»، وفق أدبيات الثورة الإيرانية، ويراه رفاق سلاحه حاملاً لراية هذه الثورة خلف الحدود، ليحمي مصالح البلاد من جهة، ويبقي جذوة الثورة بنسختها الأممية مشتعلة. لقّبه المرشد علي خامنئي بـ«الشهيد الحي»، وراح الإيرانيون يرفعون صور المتحدّر من عائلة فقيرة في حياته، في ظاهرة نادرة كانت حكراً على الخميني وخامنئي وقادة الثورة الشهداء كمطهري وبهشتي وشمران وآخرين. لدى العدو، هو «رجل المهمات القذرة» و«السفاح» و«المرعب»، حين يقاس الأمر بعبء سياسته على إسرائيل والولايات المتحدة وحلفائها من مشيخات الخليج. لكن أحد رفاق درب «الجنرال» يكثّف صفاته بعبارة «الفارس النبيل»، ويشرح «أبوّة» القائد العسكري ولطفه وتواضعه مع الجميع، حتى الأعداء القادر على إبادتهم كان يسعى إلى التعامل الرحيم معهم بأقصى قدر ممكن. دبلوماسي مفاوض، متواضع ولبق وشهم وخلوق وقريب من القلب، لا يقطع الجسور مع أحد. نشيط ومبادر و«روحاني»، بحسب الصفات التي يسوقها الراوي، منبّهاً إلى أنها قد لا تخطر ببال من يراقب عمله العسكري عن بعد.

«هيبة» المحور... وقطبه

أن تكون قائداً لـ«قوة القدس» التي تبلورت بعد حرب الخليج من رحم الحرس الثوري لتنظّم نشاط «الحرس» الخارجي أيام «السلم»، فهذا يعني أنك مسؤول عن العمليات الخارجية في كلّ مكان خلف حدود إيران، وبالحدّ الأدنى في الإقليم أو «غرب اسيا» كما يسمّيها الإيرانيون. وهنا، منطقة تزدحم بالأعداء الذين يجب التعامل معهم: الولايات المتحدة ومعها القوات البريطانية والغربية عموماً، حلفاؤهم العرب، إسرائيل، الانفصاليون الكرد، وأخيراً التنظيمات التكفيرية. في الوقت عينه، تزدحم بالحلفاء والأصدقاء: سوريا، فصائل المقاومة في العراق ولبنان وفلسطين واليمن. كانت مهمة «سردار سليماني» (القائد بالفارسية) أو «الحجي أبو دعاء» كما يشير إليه العراقيون، نقل التكتيكات القتالية التي استخلصها الحرس الثوري من حرب السنوات الثماني مع العراق ودشّن على أساسها صناعته العسكرية. وهي تقوم على ملاحظة التفوق التسليحي للعدو ومواجهته بقتال غير تقليدي أو لا متناظر، عماده الأساس: الصواريخ مقابل التفوق الجوي.

باتت على عاتق سليماني، منذ استلامه منصبه أواخر التسعينات، مهمة نقل الخبرات والتسليح، وإنشاء بنية تحتية قتالية صلبة لدى الحلفاء. سنوات قليلة وسيتردّد مصطلح «محور المقاومة». محور، كان سليماني يشكّل البنّاء ومن ثم المركز له، حتى بات أحياناً يطلق عليه البعض «محور قاسم سليماني». حرب تموز كانت محطة أساسية لاختمار التجربة. بأمر من المرشد خامنئي، صار يستقلّ جزءاً من دور سليماني في اتخاذ القرارات في شأن الملفات الإقليمية (لا سيما منها المرتبطة بحركات المقاومة ضد إسرائيل) حزبُ الله في لبنان، وتحديداً أمينه العام السيد حسن نصر الله، وقائدُه العسكري آنذاك الشهيد عماد مغنية.

في غزة ولبنان، ولاحقاً في سوريا والعراق واليمن، أخذ ينظر الحلفاء إلى الرجل كسند لحركاتهم، حيث بصماته خلف كلّ إنجاز وانتصار. لم يقتصر دوره على العسكري فحسب، إذ كان شديد الاهتمام بالإعلام والسياسة لرفد الحركات الحليفة بـ«قوة ناعمة»، لا بالسلاح فحسب. ولعلّ أهم ما ساعده في تنويع خبراته، بل واختياره للمنصب، دوره في محافظة كرمان كقائد للحرس الثوري، وهي منطقة قريبة من الحدود الأفغانية، حيث عمل على مكافحة تهريب المخدرات. تلك المسؤولية سمحت له بتجربة العمل الأمني والإسهام في حماية الحدود، ليحقق خلالها نجاحات لافتة ضدّ عصابات تهريب الأفيون. تكرّس سليماني، مع تمدّد محور المقاومة، اللاعب السياسي والعسكري الأول في المنطقة، إلى جانب أذرع أخرى لطهران تجتمع في المجلس الأعلى للأمن القومي، وتخوض نقاشاً حادّاً تتنوع فيه الآراء، وقد لا تكون الكلمة الفصل فيه لسليماني، كما يظن البعض. يستفيض قيادي في محور المقاومة، على اطلاع على آلية صنع القرار بين أطراف المحور، في شرح حجم خسارة سليماني. سريعاً يستدرك: «الحرس مؤسسة»، وإذا ما أردنا تشخيص الخسارة الأكبر باغتيال «الجنرال»، فهي ضرب «هيبة المحور» التي أسهم في صنعها طوال السنوات، أمام العدو وأمام الحليف، بالكثير مما أنجز. ماذا عما لم ينجزه؟ يجيب أحد أكثر المقرّبين منه في الآونة الأخيرة لـ«الأخبار»: «القدس. كانت برنامجه العملي وحلمه وهاجساً شخصياً يلهج به في الجلسات الخاصة!».

المهندس الذي «أتعب» أميركا

نور أيوب

- ممكن نشوف أبو مهدي المهندس خارج الحشد (الشعبي)؟

- ممكن... إن شاء الله شهيد.

ذلك مقطع من حوار تلفزيوني أُجري مع الحاج جمال جعفر محمد علي آل إبراهيم، عقب الانتخابات التشريعية العراقية الأخيرة في أيار/ مايو 2018. إجابة سريعة ومكثّفة جلّت قناعة الرجل الستيني، الراسخة كرسوخ نخل البصرة الجنوبية، مسقط رأسه، منذ تخلّى المهندس الشاب، خرّيج جامعة بغداد، عن اسمه المدني، ليحمل لقباً اختاره بنفسه: «أبو مهدي».

متنقّلاً بين تنظيمات الإسلام السياسي، ودول الصراع في منطقة الشرق الأوسط، راكم المهندس تجربة غنية: أمنية وعسكرية وسياسية، لم يُعرف لاحقاً - وتحديداً بعد الاحتلال الأميركي للعراق في نيسان/ أبريل 2003، بـ«رجل إيران في العراق»، ما دفع واشنطن إلى إدراجه على لائحة العقوبات الخاصة بها لعام 2009. علّق المهندس على تلك الخطوة بأن «الأميركيين تحسّسوا منّي بسبب خلفيّتي الجهادية وحضوري في أكثر من ساحة، خصوصاً في أحداث النجف (2004) وما تلاها. كذلك، تحسّسوا من دوري المتواضع في إنشاء الائتلاف الوطني العراقي، الأول والثاني».

استطاع المهندس، بوصفه وحداً من أبرز وجوه محور المقاومة، بناء شبكة من العلاقات المتشعّبة من طهران إلى غزة، مروراً ببغداد ودمشق وبيروت. استثمر صداقاته القديمة في مشروع بناء المقاومة العراقية، منذ تسعينيات القرن الماضي ضدّ النظام السابق برئاسة صدام حسين، وصولاً إلى مطلع الألفية الثانية ضدّ الاحتلال الأميركي، قبل أن يُتوّج مسيرته بالحرب ضدّ تنظيم «داعش» في حزيران/ يونيو 2014، والتي تسنّم خلالها منصب نائب رئيس «هيئة الحشد الشعبي».

مسيرته «الجهادية» الحافلة كرّسته رقماً صعباً في حسابات «قوة القدس» في الحرس الثوري الإيراني. يصفه البعض بـ«العضد العراقي» لقائد القوة اللواء الشهيد قاسم سليماني، حتى اقترن اسمهما ورسمهما، خصوصاً في الأعوام الخمسة الأخيرة، على سواتر المواجهة ضد «داعش»، من

> في أيّامه الأخيرة، كان حنين الرجل كبيراً إلى رفاق سلاحه الشهداء

حزام بغداد إلى تلعفر (شمال غربي البلاد)، وصولاً إلى القائم - البوكمال (عند الحدود العراقية - السورية). الرحلات المشتركة لم تعرف حدوداً؛ مرة يطلّان من العاصمة السورية دمشق حيث يزوران مقام السيدة زينب، وأخرى في جرود القلمون عند الحدود السورية - اللبنانية إبّان معارك المقاومة ضدّ المجموعات الإرهابية، وثالثة عند الحدود مع فلسطين المحتلة خلال الاطلاع من قيادة المقاومة على تفاصيل عملية الردّ على اغتيال الشهيد جهاد عماد مغنية ورفاقه.

طوال أعوام الدم والنار ضدّ «داعش»، بدا الحاج الذي غزاه الشيب بحيوية الشباب. تراه في مقرّه مجتمعاً بضيوفه، ليتوجّه من دون سابق إنذار إلى خطوط التماس، وتُعرف لاحقاً أنه حطّ على الساتر الأماميّ في إحدى الجبهات للإشراف على إنجاز مهمة مستعجلة. كان يصل ليله بنهاره، ما انعكس دائماً إرهاقاً على وجهه.

الثابت الأبرز في مسيرة المهندس عداؤه المطلق لواشنطن، وإيمانه بالمقاومة المسلّحة لطردها. يصف الحضور الأجنبي في العراق بأنه «خطٌّ أحمر قاتم بلون الدم»، مؤكداً - باللهجة المحكية المصحوبة بضحكته المعهودة - أن الروح المقاومة «لا تتعب... أميركا هي اللي تتعب». هذا الثبات شكّل محطّ إشادة في ردود الفعل التي أعقبت نبأ اغتياله، وعلى رأسها موقف المرشد الإيراني، السيد علي خامنئي، الذي وصفه في بيانه أمس بـ«مجاهد الإسلام الكبير»، وأيضاً بيان الأمين العام لحزب الله، السيد حسن نصر الله، الذي عدّه «قائداً كبيراً»، علماً أن المهندس كان ضيفاً دائماً على القائدَين، خصوصاً نصر الله الذي كانت زياراته إليه دورية، وآخرها في أيلول/ سبتمبر الماضي.

في أيّامه الأخيرة، كان حنين الرجل كبيراً إلى رفاق سلاحه الشهداء، وحديثه دائماً عن الشهادة. تحدّث - كما يُنقل عمّن التقاه أخيراً - عن «السابقين»، آملاً أن يكون من «اللاحقين». تحقّقت للمهندس أمنيته، برفقة من كان يصفه بأنه «قائده». سقطا معاً في الطريق إلى بغداد، فيما كانت الوجهة حتماً: القدس.

(أ ف ب)

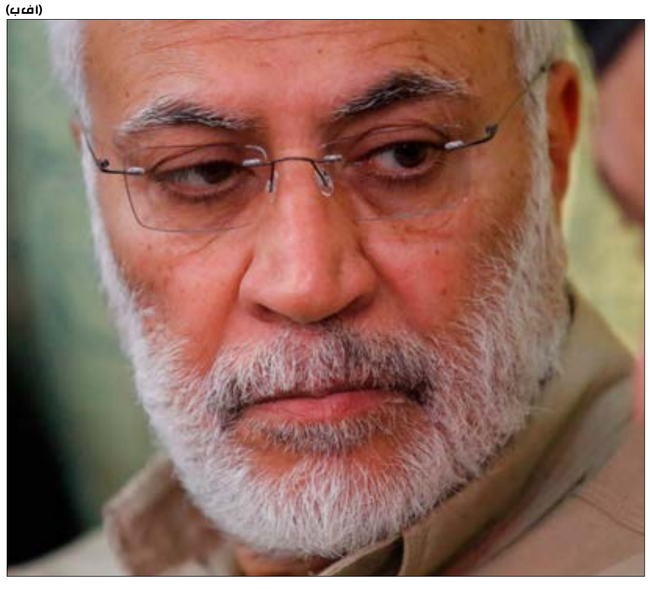

على الغلاف

«الجنرال»: سنهزم أميركا في سوريا

إيلي حنا، حسين الأمين

لم تكن علاقة الحاج قاسم سليماني بسوريا وليدة الحرب، على الرغم من أنها بلغت ذروتها خلالها. هذه العلاقة بدأت مبكرة قبل تحرير الجنوب في العام 2000 بسنتين، حين تمّ تعيينه كقائد لـ«فيلق القدس» عام 1998. آنذاك، كان قادة «الحرس الثوري» المعنيون بمتابعة الملفات الخارجية، وخصوصاً العلاقة مع قوى المقاومة في لبنان وفلسطين، يتخذون من سوريا مكاناً لإقامتهم. منذ ذلك الوقت، كان الحاج قاسم ينظر إلى سوريا كقاعدة «آمنة» لتوزيع المهام وعقد اللقاءات، والاستفادة من موارد الجيش السوري وقدراته، وأيضاً من وجود شخص رئيس الجمهورية بشار الأسد. في ما بعد، دور المستشارين الإيرانيين هناك، بموجب الاتفاقات الموقعة مع بين طهران ودمشق، قبل أن يضع خطة عمل مبدئية تقوم على: «أولاً، الحفاظ على الرئيس الأسد كشخص وموقع. ثانياً، الحفاظ على تماسك الجيش السوري قدر الإمكان. ثالثاً، الحفاظ على العاصمة دمشق بعد بدء سقوط المحافظات الأخرى. رابعاً، منع قطع الوصل بين غرب سوريا وعاصمتها

تلك الفترة، بدأ دوره في سوريا يكبر باطّراد، مع انطلاق مرحلة جديدة من العمل برفقة صديقه وشريكه في حزب الله الشهيد القائد عماد مغنية. آنذاك، وفي ظلّ العمل على نقل تجربة حزب الله إلى الفصائل الفلسطينية، تحوّلت سوريا إلى أكثر من خط إمداد للمقاومة، إذ صارت حلقة وصل حقيقية بين قوى المقاومة في لبنان والعراق وفلسطين، وبإشراف من الحاج قاسم. بعد سنتين، استشهد مغنية، شريك مشاريع سليماني في سوريا، لتتحوّل كلّ أعباء الملفّ إلى مسؤولية الأخير وحده.

نقطة التحول الثانية في سياق علاقة سليماني بسوريا كانت في العام 2011. تنبّه الحاج مبكراً لما يخطط لهذا البلد. بعد فترة قصيرة من المراقبة، اتخذ قراراً بتعزيز دور المستشارين الإيرانيين هناك، بموجب الاتفاقات الموقعة مع بين طهران ودمشق، قبل أن يضع خطة عمل مبدئية تقوم على: «أولاً، الحفاظ على الرئيس الأسد كشخص وموقع. ثانياً، الحفاظ على تماسك الجيش السوري قدر الإمكان. ثالثاً، الحفاظ على العاصمة دمشق بعد بدء سقوط المحافظات الأخرى. رابعاً، منع قطع الوصل بين غرب سوريا وعاصمتها دمشق عبر منع سقوط حمص». بعد ذلك، شرع الحاج بالتعاون مع القيادة السورية في بناء جيش رديف (الدفاع الوطني) وتطويره. كان تشخيص الحاج قاسم أن «الأعداء ذاهبون إلى تدخل أكبر بكثير في الحرب في سوريا، ولن نقف مكتوفي الأيدي». أظهر اهتماماً خاصاً بمعارك محافظة حمص، وخصوصاً منطقة القصير، ومعارك ريف دمشق الشمالي الغربي، وخصوصاً منطقة القلمون. تابع معارك القلمون الأولى والثانية بنفسه، وجال خلالها ميدانياً. «كان يرى فيها بعدين: الأول أن هذه المناطق تمنح قدرة على تأمين شريان حياة للعاصمة دمشق نحو لبنان وحماية الأخير، والثاني تأمينها ضمن خطط تحصين العاصمة السورية». في تلك الفترة، بدأت المعارك في الساحل أيضاً، ليبدأ الحاج بتعزيز «الدفاع الوطني» بالعتاد والعديد، موليا اهتماماً أيضاً للحرب الإعلامية والنفسية ضدّ المسلحين ومشغليهم.

في العام نفسه الذي انطلق فيه العمل لتأمين دمشق، خصوصاً من جهة لبنان، برز تهديد الولايات المتحدة بـ«الردّ» على هجوم كيميائي مفترض وقع في ريف دمشق، واتُّهم به الجيش السوري. في ذلك الوقت، تواجد الحاج قاسم في دمشق، وأجرى اتصالات عدة، فضلاً عن عمليات تعزيز عسكرية، وإجراءات ميدانية في عدة بلدان في المنطقة. كما وجّه رسائل مباشرة وغير مباشرة إلى الأميركي تحذّره من مغبة الخوض في حرب على سوريا. «نُصح أوباما بأن هذه تجربة العراق أمامك»، يقول أحد المقرّبين من الحاج، مضيفاً: «كان القرار أن سوريا لن تسقط حتى لو ذهبنا إلى خيارات استشهادية». حينها سُرّب إلى الإعلام نقلاً عن سليماني قوله: «بلاد الشام هي معراجنا إلى السماء وستكون مقبرة الأميركيين»!

العام التالي، عام سيطرة تنظيم «داعش» على أجزاء من العراق، رصدت فرق الحاج تحركات التنظيم ونشاط عناصره. مباشرة، حطّ ليلاً في بغداد: «كان التشخيص منع سقوط بغداد»، يقول مصدر مقرب من سليماني. بعد مدة قصيرة، ظهر أبو بكر البغدادي، زعيم التنظيم، في خطبة في غرب الموصل أعلن فيها قيام «الخلافة». تسارعت الأحداث، فتمدّد «داعش» في العراق وسوريا. مباشرة، شرع الحاج في رسم خريطة عمل، أقرّ بموجبها «علناً» باتجاهين: الأول تعزيز «الحشد الشعبي»، والثاني تعزيز الجيش السوري والقوى الرديفة في سوريا والتجهيز لقتال التنظيم. في عام 2015، مع تعاظم خطر «داعش» واستعار المعارك حول مدينة حلب، بدأ سليماني مساعيه لإدخال روسيا على خطّ الحرب السورية. هكذا، توجّه إلى موسكو، بعد «اتصالات روسية إيرانية رفيعة المستوى أدت إلى اتفاق يقضي بضرورة ضخّ دعم جديد للأسد»، و«توفير أسلحة روسية أكثر تطوراً للجيش السوري، وإنشاء غرف عمليات مشتركة تجمع هؤلاء الحلفاء معاً بالإضافة إلى العراق».

جنوباً، ومع بدء الغارات الإسرائيلية في سوريا، ذهب الحاج مباشرة بإطلاق المقاومة الشعبية في الجولان، والبلدات الجنوبية (الشيخ مسكين ...). وفي السياق نفسه، سعى دائماً الى تفعيل برامج التطوير والتحديث في الأعمال العسكرية والتسليحية لقوى المقاومة في سوريا وانطلاقاً منها. وعلى هذا المنوال، وضع برامج تشغيلية لعدد كبير من القوى متعددة الجنسيات للعمل عليها وتدريبها وتجهيزها لقتال إسرائيل، والإعداد لـ«المعركة الكبرى».

(الاخبار)

> كان استحقاق الشمال السوري منعطفاً حقيقياً في الحرب، أولاه الحاج قاسم اهتماماً كبيراً

كسر الحدود

كان استحقاق الشمال السوري (حلب 2015 – 2016 / الشرق 2017) منعطفاً حقيقياً في الحرب، أولاه الحاج قاسم اهتماماً كبيراً. يقول أحد القادة الميدانيين الذين شاركوا تحت قيادته في المعركة إن الحاج «تواجد شخصياً في الميدان وعاين السواتر بنفسه»، كما كان يقوم «بعشرات الرحلات، بعضها يومي، بين بغداد ودمشق وبيروت وطهران» لتنسيق العمليات. شكّلت معركة حلب بالنسبة إليه «المعركة الحاسمة». كان الرئيس الأسد، بعد السيطرة على المنطقة الوسطى، قد ارتأى أن تكون حلب هي الوجهة المقبلة، وهو ما تبنّاه الحاج أيضاً. لم يتأخر سليماني عن المهمة: سرعان ما بدأ بالتخطيط، ليُعلن لاحقاً عن غرفة «عمليات الحلفاء» وينطلق التحشيد العسكري والإعلامي. أراد الحاج معركة حلب القنيطرة الشهيرة التي استشهدت فيها مجموعة من حزب الله والحرس الثوري، آخذ سليماني قراراً بالذهاب نحو أبعاد أخرى للعمل في الجنوب، عبر توسيع العمليات في المدن والبلدات الجنوبية (الشيخ مسكين ...). وفي السياق نفسه، سعى دائماً الى تفعيل برامج التطوير والتحديث في الأعمال العسكرية والتسليحية لقوى المقاومة في سوريا وانطلاقاً منها. وعلى هذا المنوال، وضع برامج تشغيلية لعدد كبير من القوى متعددة الجنسيات للعمل عليها وتدريبها وتجهيزها لقتال إسرائيل، والإعداد لـ«المعركة الكبرى».

كسر الحدود

كان استحقاق الشمال السوري (حلب 2015 – 2016 / الشرق 2017) منعطفاً حقيقياً في الحرب، أولاه الحاج قاسم اهتماماً كبيراً. يقول أحد القادة الميدانيين الذين شاركوا تحت قيادته في المعركة إن الحاج «تواجد شخصياً في الميدان وعاين السواتر بنفسه»، كما كان يقوم «بعشرات الرحلات، بعضها يومي، بين بغداد ودمشق وبيروت وطهران» لتنسيق العمليات. شكّلت معركة حلب بالنسبة إليه «المعركة الحاسمة». كان الرئيس الأسد، بعد السيطرة على المنطقة الوسطى، قد ارتأى أن تكون حلب هي الوجهة المقبلة، وهو ما تبنّاه الحاج أيضاً. لم يتأخر سليماني عن المهمة: سرعان ما بدأ بالتخطيط، ليُعلن لاحقاً عن غرفة «عمليات الحلفاء» وينطلق التحشيد العسكري والإعلامي. أراد الحاج معركة حلب القنيطرة الشهيرة التي استشهدت فيها مجموعة من حزب الله والحرس الثوري، آخذ سليماني قراراً بالذهاب نحو أبعاد أخرى للعمل في الجنوب، عبر توسيع العمليات في المدن والبلدات الجنوبية (الشيخ مسكين ...). وفي السياق نفسه، سعى دائماً

> كان استحقاق الشمال السوري منعطفاً حقيقياً في الحرب، أولاه الحاج قاسم اهتماماً كبيراً

الى تفعيل برامج التطوير والتحديث في الأعمال العسكرية والتسليحية لقوى المقاومة في سوريا وانطلاقاً منها. وعلى هذا المنوال، وضع برامج تشغيلية لعدد كبير من القوى متعددة الجنسيات للعمل عليها وتدريبها وتجهيزها لقتال إسرائيل، والإعداد لـ«المعركة الكبرى».

كسر الحدود

كان استحقاق الشمال السوري (حلب 2015 – 2016 / الشرق 2017) منعطفاً حقيقياً في الحرب، أولاه الحاج قاسم اهتماماً كبيراً. يقول أحد القادة الميدانيين الذين شاركوا تحت قيادته في المعركة إن الحاج «تواجد شخصياً في الميدان وعاين السواتر بنفسه»، كما كان يقوم «بعشرات الرحلات، بعضها يومي، بين بغداد ودمشق وبيروت وطهران» لتنسيق العمليات. شكّلت معركة حلب بالنسبة إليه «المعركة الحاسمة». كان الرئيس الأسد، بعد السيطرة على المنطقة الوسطى، قد ارتأى أن تكون حلب هي الوجهة المقبلة، وهو ما تبنّاه الحاج أيضاً. لم يتأخر سليماني عن المهمة: سرعان ما بدأ بالتخطيط، ليُعلن لاحقاً عن غرفة «عمليات الحلفاء» وينطلق التحشيد العسكري والإعلامي. أراد الحاج معركة حلب

«باكورة التعاون بين قوى محور المقاومة وروسيا»، بحسب ما يقول قائد ميداني كان برفقته حينها. أشرف سليماني شخصياً على التجهيزات، وأجرى لقاءات مع كل الفصائل المشاركة في العمليات. وفي العام 2016، بدأ الحديث عن سلامته الشخصية، وإمكانية تعرّضه لاغتيال. يومها، قال له القائد علي خامنئي: «شاهدتك على التلفاز».

أما في معارك الشرق السوري، خصوصاً عمليات البادية السورية، فقد كان الحاج قاسم حاضراً شخصياً أيضاً. تهيّب الجميع الدخول في تلك المعارك: صحراء قاحلة ومساحات مفتوحة ممتدة على العراق، ولا أفق للعمليات فيها. أصرّ على خوض غمار البادية مقاتلاً. أعلن بدء عمليات «والفجر» الكبرى، وكان يقودها ميدانياً. يروي أحد القادة أن سليماني أرسل مبعوثاً إلى مقرّ واحد من «الكوادر» في حزب الله، طالباً ملاقاته على وجه السرعة. كان ذلك في يوم من أيام شهر رمضان من العام 2017. تحرّك المسؤول سريعاً، وحين وصل سأل الحاج: لم تكن تنتظر المسألة إلى ما بعد الإفطار؟، فردّ سليماني: «يجب أن نهزم أميركا».

كان الحوار المتقدم قبيل توجّه الرتل الأول من قوى المقاومة نحو الحدود مع العراق، والإعلان عن التقاء القوات السورية والعراقية والحليفة عند الحدود. قبيل ذلك، وصل الحاج قاسم إلى خط الجبهة في البادية، وأجرى اجتماعاً مع القادة الميدانيين هناك، وأعلمهم أن «الأميركي يريد الدخول إلى البوكمال إذا لم ندخل خلال 5 أيام»! بعد الاجتماع، خرج ووقف على الساتر، وطلب من العسكريين فتحه أمامه، ليتقدم بنفسه بسيارته وسيارات مرافقيه، حتى قطع 35 كم في ساعة ووصل إلى البوكمال، قبل أن يصل الأميركيون.

«الحاج» في العراق: قائد بلا أوامر

محمد بدير

كان ذلك ذات مساء بارد، مطلع شهر آذار عام 2015. في اليوم الأول من عمليات «لبيك يا رسول الله» المخطط لها أن تحرر نحو ألفي كلم مربع شرقي نهر دجلة ما بين سامراء وبيجي باتجاه نهر العظيم، صعد الحاج قاسم سليماني في آلية عسكرية مصراً على التوجه إلى الخطوط الأمامية على محور سد العظيم، حيث واجهت القوات عقدة دفاعية للعدو راوحت عندها. كعادته، أعطى توجيهاته مجبولة بشحنة عالية من المعنويات سرعان ما وجدت ترجمتها باندفاعة متجددة للقوات دفعت بها نحو عمق منطقة العدو. في طريق العودة، سلكت سيارة الدفع الرباعي، محمّلة بقياديين من الحشد ومستشار لبناني من حزب الله، طريقاً عسكرية شقتها آليات سلاح الهندسة التابع للحشد لتجاوز العبوات المنتشرة في المنطقة بكثافة. على أطراف الطريق، كانت مجموعة من المقاتلين تأخذ استراحة محارب، بينهم شاب عشريني يرتدي كنزة خفيفة ويبدو عليه التأثر ببرودة الجو. ما إن اجتازت السيارة جوار المجموعة حتى طلب الحاج قاسم من المستشار الذي كان يقود السيارة التوقف فوراً. وسط تفاجؤ الجميع، فتح باب السيارة ونزل سريعاً متوجهاً نحو مجموعة المقاتلين. ارتبك مرافقو الحاج، وسارعوا إلى اللحاق به خشية عليه من العبوات. اقترب الجنرال مبتسماً من ذاك المقاتل، مدّ يده إلى جيب السترة التي كان يرتديها، أخرج منها بعض الأوراق، ثم خلعها ووضعها على كتفي المقاتل المذهول، تناول رأسه بيديه وطبع قبلة على جبينه ثم قفل عائداً إلى السيارة. فيما كان المرافقون يلملم بعضهم البعض الآخر، تقدم أحدهم نحو الشاب وساله: هل تعرف من هو هذا الشخص؟ نفى برىء عكسته سريعا ملامح الشاب، قبل أن يأتيه الجواب من السائل: هذا الحجي قاسم، هنيئا لك سترته. كابَر المرافقون على الدمع الذي إجتاح عيونهم، حاولوا قول شيء ما، لكن الحاج رمقهم بواحدة من نظراته الحاسمة أفهمهم بها بأن الموضوع انتهى ولا يرغب بالحديث عنه.

تسعة أشهر قبل ذلك. الشوارع في مدينة بلد، منتصف حزيران 2014، كانت مشبعة برائحة الخوف. السواد الأعظم من أهالي المدينة الواقعة جنوب سامراء مشغولون بتحميل أمتعتهم على سياراتهم تمهيداً للرحيل. داعش أحاطت بالمدينة من شمال الله نكون نحن منهم، البعض الآخر سينتصر بفك الحصار عن سامراء.

في الغداة انطلقت القوات نحو مغامرتها، عديدها بالمئات، وعتادها أسلحة خفيفة في الغالب، وبعض الأسلحة المتوسطة، مشفوعة ببعض الهامرات ودبابتين من نوع أبرامز. قريباً من منطقة الإسحاقي، في منتصف الطريق إلى سامراء، تعرقل التقدم البطيء أصلاً، ثم ما لبث أن جمد إثر التعرض لرمايات من جهة العدو. عقد الحاج قاسم اجتماع عمليات ميداني، وتحدث مع الجمع باطمئنان استغربه الحاضرون الذين كانوا ماخوذين بالرعب الداعشي. قال لهم: هذه هي النقطة التي سينكسر فيها داعش؛ إذا ثبتم وحررتموها ستكون المفترضة ومحاور التقدم الأولية إليها كي يسلّم الجميع بالمهمة طواعية، نزولاً عند عشقهم للحاج، لا عند إمرته لهم. غالباً ما كانت الدوائر التي يحددها لمنطقة العمليات شاسعة المساحة، بما يفوق توقعات الحاضرين. درجت في أعقاب ذلك دعابة وسط بعض المستشارين الإيرانيين تدعو إلى أن تكون مقاييس خرائط التخطيط المقدمة إلى الحاج دون «الواحد على عشرة آلاف»، كي تصغر مساحة الدائرة التي يرسمها لمنطقة العمليات.

بالقوات المتبقية تنتابها الحماسة وتندفع خلف موكب الحاج وتلتحق به. مع الوصول إلى سامراء كان الرتل ممتداً كيلومترات على الطريق؛ ينظر الحاج قاسم إليه وسط سعادة غامرة اعترت الجميع بالإنتصار المتحقق ويعلق ممازحاً: ما شاء الله، كنا في البداية نتوسل القوات، والآن بفضل الله القوات كلها وراءنا.

في اجتماعات التخطيط للعمليات، إختار أن يكون دائما آخر المتكلمين. يعطي الكلام بالدور للحاضرين مستمعاً إلى وجهات نظرهم. يستمزجها، ثم يدلي برأيه حاسماً النقاش من دون الحاجة إلى ممارسة سطوة القيادة في إصدار الأمر. كان يكفي أن يحمل القلم بيده الجريحة ويرسم على الخريطة منطقة العمليات المفترضة ومحاور التقدم الأولية إليها كي يسلّم الجميع بالمهمة طواعية، نزولاً عند عشقهم للحاج، لا عند إمرته لهم. غالباً ما كانت الدوائر التي يحددها لمنطقة العمليات شاسعة المساحة، بما يفوق توقعات الحاضرين. درجت في أعقاب ذلك دعابة وسط بعض المستشارين الإيرانيين تدعو إلى أن تكون مقاييس خرائط التخطيط المقدمة إلى الحاج دون «الواحد على عشرة آلاف»، كي تصغر مساحة الدائرة التي يرسمها لمنطقة العمليات.

باتجاه بغداد كان لا يزال متاحاً. عبره سلكت قوات معبّرة من بقايا فصائل المقاومة إبان فترة الإحتلال طريقها نحو المدينة. المهمة: فتح الطريق إلى مدينة سامراء وفك الحصار عنها ومنع سقوط مقام الإمامين العسكريين. سوء التنظيم، حالة من الإرباك والكثير من الحساسيات المتبادلة بين الفصائل طبعت الأجواء. أيام قليلة ويأتي الحاج قاسم برفقة الحاج أبو مهدي المهندس. يدعو إلى اجتماع عاجل، يحضره مسؤولو القوات متذمرين من التعثر وقلة الإمكانات. نصف ساعة كانت كافية لـ«الحجي الكبير» لحل مشكلة التنظيم من خلال توزيع القوات على محاور تقدم محددة وإسناد مهام محددة لكل منها. رداً على شكوى المرافقون على الدمع الذي إجتاح عيونهم، حاولوا قول شيء ما، لكن الحاج رمقهم بواحدة من نظراته الحاسمة أفهمهم بها بان الموضوع انتهى ولا يرغب بالحديث عنه.

تسعة أشهر قبل ذلك. الشوارع في مدينة بلد، منتصف حزيران 2014، كانت مشبعة برائحة الخوف. السواد الأعظم من أهالي المدينة الواقعة جنوب سامراء مشغولون بتحميل أمتعتهم على سياراتهم تمهيداً للرحيل. داعش أحاطت بالمدينة من الذي كان يقود السيارة التوقف فوراً. وسط تفاجؤ الجميع، فتح باب السيارة ونزل سريعاً متوجهاً نحو مجموعة المقاتلين. ارتبك مرافقو الحاج، وسارعوا إلى اللحاق به خشية عليه من العبوات. اقترب الجنرال مبتسماً من ذاك المقاتل، مدّ يده إلى جيب السترة التي كان يرتديها، أخرج منها بعض الأوراق، ثم خلعها ووضعها على كتفي المقاتل المذهول، تناول رأسه بيديه وطبع قبلة على جبينه ثم قفل عائداً إلى السيارة. فيما كان المرافقون يلملم بعضهم البعض الآخر، تقدم أحدهم نحو الشاب وساله: هل تعرف من هو هذا الشخص؟ نفى برىء عكسته سريعا ملامح الشاب، قبل أن يأتيه الجواب من السائل: هذا الحجي قاسم، هنيئا لك سترته. كابَر المرافقون على الدمع الذي إجتاح عيونهم، حاولوا قول شيء ما، لكن الحاج رمقهم بواحدة من نظراته الحاسمة أفهمهم بها بان الموضوع انتهى ولا يرغب بالحديث عنه.

تسعة أشهر قبل ذلك. الشوارع في مدينة بلد، منتصف حزيران 2014، كانت مشبعة برائحة الخوف. السواد الأعظم من أهالي المدينة الواقعة جنوب سامراء مشغولون بتحميل أمتعتهم على سياراتهم تمهيداً للرحيل. داعش أحاطت بالمدينة من الذي كان يقود السيارة التوقف

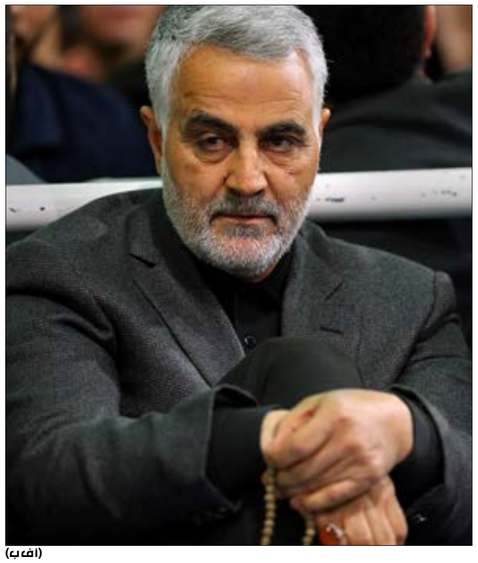
(أ ف ب)

بيجي، تشرين أول 2015. عند مشارف نهاية العمليات التي أفضت إلى تحرير المدينة ومحطيها الأوسع، يكون الحاج قاسم في خلوة استراحة قصيرة في أحد مقرات العمليات. يتسلل مقاتل إلى مكان استراحته، يقف بالباب، ويومئ إليه على خجل بوجود ثلة من رفاقه يرغبون بالتقاط الصور معه. يبتسم الحاج: «در خدمتيم» (بخدمتكم) وينهض من فوره، يرتب ثيابه ويخرج إلى المجموعة التي تنتظر في الخارج على أمل. يتوسطهم وتبدأ حفلة التصوير التي، كما في كل مرة يجري ضبط الحاج فيها بحضور كاميرا، لا تنتهي. الجنرال الذي يملأ صيته المشرق والمغرب، كان بين المقاتلين كأحدهم، يتودد إليهم، يمازحهم، يقبلهم، يأنس بهم، ويفيض بطاقة استثنائية لإشباع رغباتهم التواقة إلى التقرب منه، تقبيله وضمه، التصور معه، أو اغتنام شيء من أثره، عادة ما يكون شالاً على كتفه، أو خاتماً في إصبعه. لم يكن شيئاً غير مألوف أن تجده يركب دراجة نارية وراء أحدهم متفقداً وضعية القوات أثناء العمليات، أو في سيارة بيك آب التي كان يفضلها على سيارات الدفع الرباعي الفخمة ويهرب من طوابير مواكبها التي تحرص، لأغراض حمائية، على الإلتصاق بحركته.

البوكمال، تشرين الثاني 2017. يتنفس الحاج قاسم بصعوبة. النزلة الصدرية التي ألمت به تزداد سوءاً، وتُخمد همته المستديمة على الحضور في الميدان. يلتحف عباءة عربية ويحزم رأسه بلفحة عربية أيضاً، ويجلس وعلى محياه الإعياء في إحدى غرف مقره، مصراً على مواكبة سير عمليات تحرير المدينة. يرفض نصيحة الجميع بالذهاب للعلاج والراحة. ما هي إلا أيام وتنتهي العمليات بتحرير المدينة. يدعو إلى اجتماع موسع. ربما كان أحد الإجتماعات النادرة التي ضمت معظم مكونات القوات المقاتلة في محور المقاومة: عراقيون، سوريون، لبنانيون، إيرانيون، أفغان وباكستانيون. بارك في كلمته للجميع الإنتصار على داعش وأثنى على التضحيات معلناً إنجاز المهمة التي «بدأتموها قبل ثلاث سنوات ونصف». ينصرف الجميع، ويبدأ الحاج بإعداد نفسه للرحيل. قبل أن يغادر المنزل، يخط بيده رسالة لصاحب الدار التي كان اتخذها مقرا لإقامته، يبلغه فيها أنه أهداه صلاة ركعتين ودعا له بحسن العاقبة، ويطلب فيها منه مسامحته على اضطراره إلى استخدام المنزل ويطلب منه أن يتواصل معه على رقم الهاتف المدون أسفل الرسالة للحصول على التعويض الذي يرتأيه لإبراء ذمته. توقيع الرسالة: إبنكم وأخوكم، سليماني.

نقابة المهندسين في بيروت
جمعية عمومية
لفرع المهندسين المدنيين الاستشاريين
تدعى الهيئة العامة للفرع إلى عقد اجتماع في نقابة المهندسين - بيت المهندس الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الأربعاء في ٢٠٢٠/١/٢٩.
رئيس الفرع
م. الي كرم

على الغلاف

العراق أمام التحدّي الأصعب: نحو إقرار قانون طرد الأميركيين؟

بغداد - **الأخبار**

على اختلاف توجّهاتها ومواقفها، تواجه الأحزاب والقوى العراقية تحدّياً جدّياً قد يكون الأصعب منذ سقوط مدينة الموصل بيد تنظيم «داعش» في حزيران/ يونيو 2014. هذه القوى وبدءاً من اليوم، أمام تحدّي تحقيق استقلال البلاد وسيادتها، بعد العدوانين الأميركيين في الأيام القليلة الماضية، والذي أسفر ثانيهما عن استشهاد نائب رئيس «هيئة الحشد الشعبي» أبو مهدي المهندس، إلى جانب قائد «قوّة القدس» في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني وآخرين. الأميركيون، بعدوانهم ووقاحته، لا يحسبون حساباً للدولة العراقية كما بدا واضحاً، بل ينظرون إلى هذا البلد كساحة لتصفية حساباتهم

> **عبد المهدي رفض تلقّي أيّ اتصال من الرئيس الأميركي دونالد ترامب ووزير خارجيته مايك بومبيو**

مع إيران وحلفائها. اغتيال المهندس (بمعزل عما سيؤول إليه الموقف الإيراني من اغتيال سليماني) يفرض على الدولة العراقية إعادة الاعتبار إلى موقعها المهشّ، خصوصاً أن الشهيد المهندس شخصية رسمية تتولّى منصباً حكومياً فيها، يمثّل جوهر الروح الوطنية في الحرب على «داعش» (2014 - 2018).

ويأتي اغتيال نائب رئيس هيئة «الحشد» في سياق مشروع أميركي لتصفية الأخير. قبل أشهر، وفي لقاء مع «الأخبار»، أشار المهندس إلى أن واشنطن «تقود مشروعاً لتصفية الحشد والقضاء عليه، وتفريغه من البيئة المحيطة به والمؤيدة له»، مضيفاً أن «المشروع بدأ باستهداف مقارّ الحشد (الصيف الماضي)، وسيُتبع بتصفيات جسدية لقادة الحشد وفصائل المقاومة». كانت لدى المهندس معطيات تفيد بأن انتصار العراقيين على «داعش»، بالتعاون مع الإيرانيين، ومن دون الحاجة الفعلية إلى الولايات المتحدة، سيكون سبباً كافياً لإطلاق مشروع تصفية «الحشد» الذي بات يمثّل بد العراق الطولى، بل ولم يعد محصوراً داخل حدوده. دور المهندس ورفاقه في بناء «قوة وطنية ذات قرار سيادي مستقل»، كان جزءاً لا يتجزّأ من مقدمات عملية الاغتيال.

قضت واشنطن على قائد عراقي كان له الدور الأبرز في الانتصار على «داعش»، مفتتحةً بذلك العام بـ«تصعيد خطير يشعل فتيل حرب مدمّرة في العراق والمنطقة والعالم»، بتعبير رئيس الوزراء المستقيل عادل عبد المهدي، الذي اعتبر، في بيان، أن «اغتيال قائد عسكري عراقي يشغل منصباً رسمياً يُعدّ عدواناً على العراق دولة وحكومة وشعباً»، مضيفاً أن العدوان الأميركي يشكّل «خرقاً فاضحاً لشروط تواجد القوات الأميركية في العراق، ودورها المحصور بتدريب القوات العراقية ومحاربة داعش، ضمن قوات التحالف الدولي وتحت إشراف الحكومة العراقية»، داعياً الكتل البرلمانية إلى «جلسة استثنائية استناداً إلى أحكام المادة 58 من الدستور، لتنظيم الموقف الرسمي واتخاذ القرارات التشريعية والإجراءات الضرورية المناسبة».

وبحسب معلومات «الأخبار»، فإن عبد المهدي رفض تلقّي أيّ اتصال من الرئيس الأميركي دونالد ترامب ووزير خارجيته مايك بومبيو،

(أ ف ب)

احتجاجاً على عملية الاغتيال، توازياً مع سعيه إلى دفع البرلمان لـ«إعادة النظر» في الاتفاقية الأمنية «صوفا» (2009). المعنية بتنظيم عملية الانسحاب الأميركي من العراق، والقسم الثالث من اتفاقية الإطار الاستراتيجي (المعنية بتنظيم عملية التعاون العسكري والأمني بين الجانبين، والموقعة عام 2008). لكن وفق المعلومات، فإن اتصالات الساعات الماضية كشفت عن تضارب في وجهات النظر في هذا الشأن بين كتل «البيت الشيعي»، والمنقسمة على ثلاثة آراء:

1- «تحالف البناء» (ائتلاف نيابي يضمّ هادي العامري ونوري المالكي وآخرين) يدفع في اتجاه إقرار قانون إخراج الأميركيين.

2- كتلتا عمار الحكيم وحيدر العبادي تقولان إن الإلغاء يجب أن يكون عن طريق الحكومة وليس البرلمان، على اعتبار أن الأمر متعلّق بـ«اتفاقية» وبالتالي فهو لا يحتاج إلى قانون. لكن في الواقع، يبدو موقفهما أقرب إلى مناورة سياسية تغطّيان من خلالها تهرّبهما من الموافقة على مشروع القانون.

3- كتلة مقتدى الصدر، وعلى رغم أن موقف زعيمها بدا عالي السقف في الساعات الأخيرة، إلا أن ما ستتبنّاه في هذا الإطار ليس مضموناً بشكل كامل، وعليه، يفترض الانتظار حتى غد الأحد، موعد الجلسة المرتقبة، لمعرفة توجّهها الحقيقي.

على خطّ موازٍ، تتجّه الأنظار إلى ما سيكون عليه موقف فصائل المقاومة، سواءً تم إقرار القانون في البرلمان أم لم يتمّ، علماً أن الفصائل باتت تملك الحق الكامل في الركون إلى الخيار الميداني، والذي سيدخل معه العراق والمنطقة - في حال تحقّقه - مرحلة جديدة من المواجهة.

إسرائيل «ترتاح» من أكبر الأعداء: أسئلة اليوم التالي

يحيى دبوق

لا جدال في أن الفائدة الاستراتيجية التي تحقّقت لإسرائيل، جرّاء الاستهداف الأميركي لقائد «فيلق القدس» اللواء قاسم سليماني، كبيرة جدّاً. إخراج الرجل من المعادلة يؤمّن لإسرائيل، وفق ما ورد في التقارير العبرية أمس، «الانفكاك عن أكبر أعدائها على مرّ كلّ الأزمنة».

فائدة استراتيجية أخرى جنتها تل أبيب من اغتيال نائب رئيس هيئة «الحشد الشعبي» في العراق، أبو مهدي المهندس، أحد القادة المتقدّمين إيرانية بمستويات عالية، وهو ما لا يتساوق مع ذلك الهدف «الردعي». لذلك، ترى الصحيفة أن الرئيس الأميركي دونالد ترامب قد يتسبّب فعلاً بحرب مع إيران، حتى من دون خطة معدّة مسبقاً، وفي الوقت نفسه، يمكنه العودة إلى الانكفاء. إلا أن إخراج الولايات المتحدة من «ورطة» التصعيد الأخير قد يلحق الضرر بمصالحها ومصالح حلفائها. قلقٌ لا يرتبط فقط بإمكانية أن يكون الكيان العبري بين أهداف الردّ الإيراني، بل يتصل بنوايا الحليف الأميركي، وما إن كان مستعدّاً فعلاً للذهاب بعيداً في المواجهة مع إيران حتى كسرها. وفي هذا الإطار، تخشى تل أبيب من أن تكون خطة الإدارة الأميركية مقتصرة على هدف محدود: ردع إيران وحلفائها.

عملية اغتيال سليماني، بوصفه شخصية إيرانية وازنة واستراتيجية، ستجرّ حكماً، بحسب صحيفة «هآرتس»، ردوداً للمواجهة مع طهران، خصوصاً إذا ما كان اغتيال سليماني مقدّمة لخطوات لاحقة ضمن استراتيجية أميركية محدّدة مسبقاً، تستهدف إخراج إيران من العراق وسوريا والإقليم. لكن هل هذا هو الهدف الأميركي؟ لا إجابات إسرائيلية قاطعة، وإنما تقديراتٌ، لعلّ أبرزَ من عبّر عنها، أمس، الرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي، الرئيس الحالي لـ«مركز أبحاث الأمن القومي»، اللواء عاموس يدلين. إذ رأى أن «إيران وأميركا غير معنيتين بأن تتسبّبا بحرب بينهما، على رغم أنهما تسيران حالياً على حافة المواجهة، علماً أنه في الديناميكية الاستراتيجية يُمنع افتراض أن الخصم سيستمرّ في التصرّف كما في الماضي. استمرار الأمور على حالها مرهون بالردّ الإيراني، في حين أن الحفاظ على الردع الذي

> **تخشى تل أبيب من أن تكون خطة الإدارة الأميركية مقتصرة على هدف محدود**

أُنجز، ومنع ردّ إيراني ضمن ضبط التصعيد، هو تحدّ استراتيجي للولايات المتحدة».

في التسريبات العبرية أمس، ورد أيضاً أن إسرائيل كانت على علم مسبق باستهداف سليماني، بل إن عملية اغتياله شكّلت مادّة للأخذ والردّ في الزيارات والاتصالات المتبادلة بين الجانبين، ومن بينها ثلاثة اتصالات هاتفية أخيراً بين رئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو ووزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو (القناة 12). ولذا «لم تفاجأ إسرائيل بالتصفية الدراماتيكية» لسليماني. لكن، مع ذلك، رفض نتنياهو الإجابة عن سؤال عمّا إذا كان على علم مسبق بالضربة، في ما بدا محاولة متجدّدة لضمان إبقاء إسرائيل بعيدة عن المواجهة الأميركية - الإيرانية. وكان نتنياهو قرّر قطع زيارته إلى اليونان، والعودة إلى فلسطين المحتلة، توازياً مع إصداره تعليمات إلى وزرائه بالامتناع عن التعليق خوفاً من التبعات. وفي حديث مع الإعلاميين حرص مكتبه على تعميمه، قال نتنياهو إن «للولايات المتحدة الحق في الدفاع عن مواطنيها ومصالحها»، مضيفاً أن «سليماني كان المسؤول عن مقتل العديد من المواطنين الأميركيين ومدنيين عزّل آخرين»، وأنه «خطّط للمزيد من الاعتداءات الإرهابية». ورأى أن «ترامب تصرّف بحزم وبقوة وبسرعة، وإسرائيل تقف إلى جانب الولايات المتحدة في النضال من أجل توفير الأمن والسلام والدفاع عن النفس».

من جهته، سارع وزير الأمن، نفتالي بينت، إلى عقد جلسة تقييم وضع في تل أبيب، بمشاركة رئيس أركان الجيش أفيف كوخافي، وكبار المسؤولين الأمنيين الآخرين، تقرّر في أعقابها، بحسب مصادر عسكرية، رفع مستوى التأهب العسكري على كلّ الجبهات، ولا سيما الجبهة الشمالية (لبنان وسوريا).

الراقص على حبال الموت

هادي أحمد

فجر 12 شباط/ فبراير 2008، كان الوقت مناسباً لتنفيذ عملية الاغتيال. عندما نزل عماد مغنية من سيارته في منطقة كفرسوسة، رصد منفّذو العملية وجود شخص آخر إلى جانبه؛ لم يكن إلا القائد «فيلق القدس» قاسم سليماني. تحدث الرجلان وقوفاً قليلاً، قبل أن يدخلا أحد الأبنية للاجتماع مع قادة فلسطينيين. أتيحت للموساد، يومها، فرصة لا تتكرّر لقتل الرجلين معاً. لكن المعادلات وقتها على الإسرائيليين عدم المساس بسليماني. انتظر المنفّذون خروجه من المكان وحيداً. فيما كان في طريقه إلى المطار، خرج مغنية من المبنى لتحين الساعة الصفر، ويتمّ الضغط على زرّ التفجير. أقلّ من 5 سنوات كانت كافية ليعبّر عدد من قادة الاستخبارات، الأميركية والإسرائيلية، عن ندمهم على تفويت تلك الفرصة، خصوصاً أن دور الرجل تطوّر حتى بات «الوحيد القادر على جرّ الجيش الإسرائيلي إلى حربه المقبلة»، بحسب تعبير رئيس الموساد السابق تامير باردو.

لم تكن تلك المرة الأولى ولا الأخيرة التي اقترب فيها سليماني من حافة الموت. الرجل، الذي عُيّن قائد لواء، وهو لمّا يزل في الـ19 من عمره، وضعته الظروف على حافة الشهادة مرات عدّة، فضلاً عن إصابات بالغة تعرّض لها غير مرة، في إيران والعراق وسوريا ولبنان. مسافة صفر من العدو كانت أمراً معتاداً بالنسبة إليه. عام 2004، على الحدود اللبنانية - الفلسطينية، كان هو والحاج عماد وقياديون آخرون يتجوّلون على الحدود، متجهين صوب نقطة المنارة. اقتربوا لحظتها من السلك لمعاينة المشهد من هناك. توقفوا قليلاً. وبعد لحظات وصلت دبابة وآلية إسرائيليتان. ترجّل منهما الجنود سريعاً ووجّهوا الأسلحة نحوهم. لم يتزحزح أحد منهم، بل على العكس، قاموا هم أيضاً برفع الأسلحة بوجه الجنود. ساد صمت لدقائق معدودات لم يبادر فيها أحد إلى فتح النار، قبل أن يتراجع الإسرائيليون ويكملوا دوريتهم، ويبقى الحاج قاسم ومَن معه في مكانهم.

> **لم تكن واقعة 2008 المرة الأولى أو الأخيرة التي اقترب فيها سليماني من حافة الموت**

عام 2006، وبحسب ما يروي أحد قادة «سي آي إيه»، وصل الى الاستخبارات الأميركية تقريرٌ مفاده أن موكباً إيرانياً يضمّ سليماني يتجه نحو شمال العراق. جرى البحث سريعاً في القرار الذي يجب اتخاذه: هل نهاجم القافلة؟ هل نفجّرها؟ أم لا نفعل شيئاً؟. «كنا متأكدين 100% أن قاسم كان هناك»، يقول القائد المذكور، مضيفاً أنه «كانت لدينا مشروعية ملاحقته وتصفيته». انتظر الأميركيون حتى يصل الموكب مكاناً يمكنهم فيه السيطرة عليه. اعتقلوا خمسة أشخاص أقرّوا لاحقاً بأنهم دبلوماسون إيرانيون، لكن سليماني، الذي كان على متن الموكب بالفعل، «باغتنا ونجح في الخروج منه من دون أن نتمكن من رؤية ذلك»، وفق المسؤول الأميركي.

في سوريا، وبعد دخول معركة القصير أسبوعها الثاني، زار سليماني غرفة العمليات للاطلاع على مسار المعركة. أُفردت له خريطة العمليات. لكنه أراد أن يعاين المشهد بنفسه. طلب الوصول إلى مركز بلدية المدينة، خطّ التماس الأخير. تقدّم مع قائد المعركة رويداً رويداً داخل القصير، وكلّما كان القائد يطالبه بالاكتفاء، كان يطالب بالمزيد، علماً أن السيد حسن نصر الله أوصاه شخصياً بألا يخاطر بنفسه. لكنه سليماني ظلّ مصرّاً على الوصول إلى أقرب نقطة، أي على بعد أمتار من المسلّحين. هناك، وقف بارتياح، ليوصي بإقامة غرفة عمليات متقدّمة تكون أقرب إلى مجريات المعركة.

تعرّض لمحاولات أخرى سابقة ولاحقة أدّت إلى جرحه. كما تعرّض لمحاولات اغتيال أثناء معالجته في المستشفيات. أثناء الحرب الإيرانية - العراقية، تعرض لإصابة بليغة في صدره. ينقل الدبلوماسي صادق خرازي أن أحد أنصار «المنافقين»، وكان يرأس غرفة العمليات، أبقي صدر سليماني مفتوحاً ليزداد وضعه صعوبة، قبل أن تنتبه ممرضة للأمر وتبلغ المعنيين. محاولات كثيرة، جميعها باءت بالفشل، قبل أن يقضي «الحجي» في كمين الفجر في بغداد.

«عماد مغنيّة» شهيداً...

قاسم س. قاسم

خرجت صورة قائد قوة القدس قاسم سليماني للمرة الأولى إلى العالم بعد عام 2008، عقب استشهاد صديقه القائد العسكري للمقاومة الإسلامية في لبنان الحاج عماد مغنية. ينقل عارفو سليماني أن خروجه إلى الضوء جاء كردة فعل على استشهاد مغنية.

العلاقة بين الرجلين عاينها العدو بعينه. يروي الصحافي الإسرائيلي يوسي ميلمان في كتابه «انهض واقتل»، أنه صبيحة اغتيال الحاج رضوان، في 12 شباط 2008، رصدت أعين الاستخبارات الإسرائيلية مغنية واقفاً مع صديقه الحاج قاسم بالقرب من تسمح الإدارة الأميركية بقتلهما معاً لاعتبارات عدة، بينها أن قتل سليماني قد يؤدي إلى حرب مع إيران، وأنه يريد ضمان «قتل الهدف». بعد اغتيال مغنية، احتفظ سليماني بـ«الكنزة» السوداء التي كان يرتديها الحاج عماد لحظة استشهاده. وضعها في صندوق زجاجي في صالون بيته في طهران. فوق الصندوق، ثبّت لوحة عليها صور قادة وشهداء إيرانيين ولبنانيين (بينهم السيد موسى الصدر والسيد حسن نصر الله) وفلسطينيين وعراقيين وأفغان، والثائر الليبي عمر المختار. مرات عدة، عبّر الحاج قاسم عن اشتياقه للحاج رضوان، وكيف أنه باستشهاده فقد صديقاً من الصعب تعويضه. كان يشير إلى كنزة صديقه ويطلب من زائريه التدقيق في الثقوب التي خلفتها الكرات المعدنية التي اخترقت جسده. اعتاد الحاج قاسم استرجاع لحظة استشهاد مغنية، وكيف وجده أحد رفاقه ساجداً. أحب سليماني إخبار زائريه عن علاقته بمغنية ولم يقدر على منع انسياب الدمع خلال حديثه عنه. بعد استشهاد الحاج رضوان، أصبح سليماني فرداً من عائلة مغنية. اعتبر نفسه مسؤولاً عنها.

بعض أفراد عائلة الحاج عماد كانوا قد التقوا سليماني سابقاً، لكنهم لم يكونوا يعرفون هويته. كل ما عرفوه عنه أنه «صديق عماد». إبان حرب تموز ـ آب 2006، شاهدت زوجة الحاج عماد، سعدى بدر الدين، قاسم سليماني مع زوجها عندما كانا يحضران لتسلّم الطعام منها، في نقطة متفق عليها مسبقاً في الضاحية. كانت تنظر إليهما، متسائلة عن الرجل الذي لا يفارق زوجها والذي يُحتمل أن يقتل معه في أي لحظة. لم تعرف أنه قاسم سليماني إلا ما بعد استشهاد رفيق عمرها.

في الآونة الأخيرة، استذكر الحاج قاسم بعضاً من أيام حرب تموز التي قضاها في لبنان برفقة الشهيد مغنية والسيد نصر الله. في إحدى المرات، كان الموت قاب قوسين أو أدنى من الثلاثة. خرجوا من المكان الذي كانوا فيه، تظلّلوا بشجرة كبيرة بعدما شعروا بأن مقرهم في الضاحية الجنوبية لبيروت سيستهدف. طلب عماد من سليماني حماية السيد نصر الله. غاب لدقائق وعاد بقود سيارة. صعدوا فيها، ولحظات حتى انهمرت الصواريخ الإسرائيلية مستهدفة المكان الذي كانوا فيه. قاد الحاج عماد السيارة بسرعة كبيرة حتى وجد الثلاثة أنفسهم في منطقة بعيدة جداً. انتبهوا إلى أنهم ابتعدوا كثيراً عن الخطر، فكانت ردة فعلهم الضحك. يسرد الحاج قاسم هذه الرواية، ويختمها بابتسامة قائلاً: «ما لا يفارق ذهني وما لم أتمكن من سؤال عماد عنه، هو من أين أتى بالسيارة؟».

بعد الحرب، توطدت علاقة سليماني مع عائلة مغنية، وخصوصاً أنه في مرات عدة رافق الحاج رضوان وانتظره للانتهاء من لقاء عائلته. بعد استشهاد مغنية، حرص سليماني، خلال زياراته لبيروت، على لقاء أفراد العائلة والاطمئنان إلى أحوالهم، ومتابعة تفاصيلهم اليومية. بدورها، عائلة الحاج عماد اعتبرت سليماني واحداً منها. فلطالما كانت الحاجة أمنة سلامة (أم عماد)، تعاتبه، لمخاطرته بنفسه، ولعدم نيله قسطاً كافياً من الراحة والنوم.

عند استشهاد جهاد عماد مغنية، شعر سليماني بأنه فقد ولده. جاء إلى منطقة القبيري في الضاحية الجنوبية لبيروت، وقف مستقبلاً المعزّين، متجاوزاً المخاطر التي أحاطت بعد التهديدات الإسرائيلية باستهدافه بسبب العمل العسكري على جبهة الجولان. ليلة استشهاد «جهاد الكبير» (كما تلقّبه عائلته)، توجّه سليماني إلى قبره، وانتشر له فيديو وهو يقرأ القرآن على قبره. في إيران، وعلى مدى يومين، أقام مراسم العزاء وتقبّل العزاء برحيل جهاد.

في الذكرى السنوية العاشرة لاستشهاد الحاج رضوان، أطلق الحاج قاسم العنان لنفسه للحديث عن صديقه. عند سؤاله: لماذا قررت الآن الحديث عن مغنية؟ كان يجيب أنه يحب الحديث عنه، لكنه يخاف أن لا يفيه حقه. تحضيراً لمهرجان الذكرى السنوية العاشرة، تابع سليماني التفاصيل، وسأل عن المتحدثين في الحفل، والأناشيد التي ستتلى، وأين سيجلس الحاضرون، وكان فرحاً على غير العادة. بعد الاحتفال، قال لمن التقاه في بيته إنه يتمنى أن يكون قد أعطى الحاج عماد بعض حقه.

عند وفاة الحاج فايز مغنية عام 2017، سارع الحاج قاسم إلى الاتصال لتقديم واجب العزاء. المعارك الدائرة في سوريا والعراق منعته من الحضور، لكنه كان حاضراً في التفاصيل، للتأكد من إجراء مراسم العزاء على أكمل وجه. عند مرض الحاجة أمنة، كانت المعارك في العراق على أشدها. ولدى دخولها في غيبوبة، اتصل طالباً وضع الهاتف على أذنها. فضول الحاضرين دفعهم إلى فتح مكبر الصوت لسماع ما سيقوله لها. عبّر لها بصوته عن محبته لها وحاجته إليها، قائلاً لها «نحن بحاجة لنصيحتكم ودعائكم».

عند وفاة الحاجة أمنة، حضر الحاج قاسم إلى بيتها معزياً. طلب من عائلتها سجدة من سجدات الصلاة التي كانت تصنعها بيديها، حملها واختار واحدة كانت آثار أصابعها وبصماتها عليها.

يقول من التقى الحاج قاسم، قبل ساعات من اغتياله في العراق، إنه كان هادئاً على غير العادة، وما لفتهم إطالته في الصلاة والدعاء أكثر من المعتاد. مع انتشار خبر استشهاده، لم تفقد «الحكيمة» (اللقب الذي كان يطلقه على زوجته) وأولادها أبهامها فقط. فقدت عائلة عماد مغنية مرة أخرى أباً وأخاً. بالنسبة إليهم، عماد استشهد مجدداً.

على الغلاف

بدت واشنطن العاصمة، ومعها وسائل إعلامها ومراكز أبحاثها، في حالة استنفار قصوى. ما الذي جرى؟ وقعْ الخبر كان مُدوّياً في المركز السياسي لأميركا: قرّر دونالد ترامب أن «يمنع» حرباً وشيكة، وأن يجعل العالم الذي نعيش فيه «مكاناً آمناً». أمْرُ عمليات فجر الجمعة الثالث من الشهر الأوّل من العام الجديد: «اقتلوا قاسم سليماني». ساعات قليلة بعد الضربة الأميركية في بغداد حتى تبنّى «البنتاغون» العملية، بأمرٍ من القائد الأعلى للقوات المسلحة. تَعمُّد العلانية ليس عادةً من عادات الأميركيين، وهو يفتح الباب على أسئلة كثيرة: هل أقدمت الإدارة الأميركية على خطوة بهذا الحجم، مع علمها المُسبق بتداعياتها المحتملة؟ أم أنها، كما قال السناتور الجمهوري ماركو روبيو، تعرف أن طهران سترد «بما يحفظ ماء وجهها... ليس أكثر»

واشنطن: سليماني مسؤول عن «كلّ شيء»!

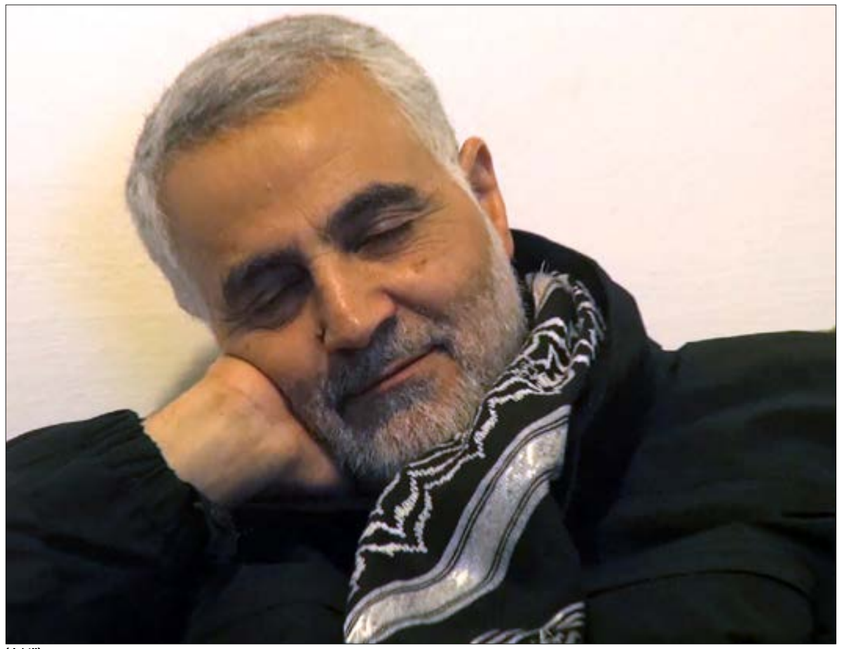

(الأخبار)

«تحرّكنا الليلة الماضية لمنع حرب، لا لإشعالها»... «الجنرال كان يخطّط لهجمات وشبكة ضدّ الأميركيين». في تصريحاته للصحافيين بعد انقضاء منتصف نهار أمس، وضع ترامب عملية الاغتيال في إطار ما يُعرف بـ«التهديد الوشيك». قبل ذلك، كانت الأسئلة تدور في فلك الحيثيات التي حملت الرئيس على اتخاذ خطوة بهذا الوزن من دون إخطار الكونغرس. أعضاء الكونغرس، خصوصاً الديمقراطيين، بدوا غاضبين جداً. رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب، إليوت إنغل، رأى أن «تنفيذ عمل بمثل هذه الخطورة من دون إشراك الكونغرس ينطوي على مشاكل قانونية خطرة، ويشكّل إهانة لصلاحيات الكونغرس»، وأن العملية الأميركية تشكّل «تصعيداً خطيراً لنزاعنا مع إيران مع عواقب لا يمكن التكهّن بها». من الناحية القانونية، يحقّ لترامب استخدام القوة العسكرية في الحالات الطارئة التي تستوجب السرعة في القرار لدرء أخطار «على وشك الوقوع». في هذا الاتجاه، جاء بيان «البنتاغون» وكلّ التصريحات التي تلته: «سليماني كان وراء هجمات على القواعد الأميركية خلال الأشهر الماضية، ومن بينها هجوم كركوك الذي أدى إلى مقتل متعاقد أميركي»، و«وافق» على اقتحام السفارة الأميركية في بغداد.

تقول واشنطن إنها راقبت منذ أشهر تحركات الجنرال سليماني في العراق»، «بتوجيهات من المرشد الأعلى»، و«يسعى إلى السيطرة على العراق واتّخاذه منصة للهجوم على الولايات المتحدة». وأشار إلى أن من الخيال الاعتقاد بأن الرئيس «اتّخذ إجراءات متهوّرة ومندفعة من دون تخطيط أو توقّع لما سيحدث بعد ذلك»، إذ تشير بصمة سليماني»، يقول قيادي في المقاومة. ربما يكون في ذلك مبالغة؟ بردّ القيادي: «من يعرف كيف كان يتعامل الحاج مع فلسطين لا يرى في هذا الكلام أيّ مبالغة... صحيح أنه يهتمّ بأدق التفاصيل في كلّ خطواته والمعارك التي خاضها، لكن عندما يتعلق الأمر بفلسطين تصير التفاصيل عشقاً، لدرجة أنه كان يمكن أن تسأل الحاج الكبير، كما كنا نُكنّيه، عن شوارع في غزة أو جنين فيجيبك عنها». هذه التفاصيل هي التي قادت الشهيد إلى الإشراف شخصياً على إيجاد طريق للصواريخ والأسلحة كي تصل القطاع وتُغيّر المعادلات، فالقرن الأفريقي، مروراً بإريتريا ثمّ السودان حيث المصانع المُخصّصة لتجميعها، قبل أن تُرسَل إلى المقاومة في العراق، و«يسعى إلى السيطرة على العراق واتّخاذه منصة للهجوم على الولايات المتحدة». وأشار إلى أن من الخيال الاعتقاد بأن الرئيس «اتّخذ إجراءات متهوّرة ومندفعة من دون تخطيط أو توقّع لما سيحدث بعد ذلك»، إذ تشير بصمة سليماني»، يقول قيادي في المقاومة. ربما يكون في ذلك مبالغة؟ بردّ القيادي: «من يعرف كيف كان يتعامل الحاج مع فلسطين لا يرى في هذا الكلام أيّ مبالغة... صحيح أنه يهتمّ بأدق التفاصيل في كلّ خطواته والمعارك التي خاضها، لكن عندما يتعلق الأمر بفلسطين تصير التفاصيل عشقاً، لدرجة أنه كان يمكن أن تسأل الحاج الكبير، كما كنا نُكنّيه، عن شوارع في غزة أو جنين فيجيبك عنها». هذه التفاصيل هي التي قادت الشهيد إلى الإشراف شخصياً على إيجاد طريق للصواريخ والأسلحة كي تصل القطاع وتُغيّر المعادلات، فالقرن الأفريقي، مروراً بإريتريا ثمّ السودان حيث المصانع المُخصّصة لتجميعها، قبل أن تُرسَل إلى المقاومة في العراق»، «بتوجيهات من المرشد الأعلى»، و«يسعى إلى السيطرة على العراق واتّخاذه منصة للهجوم على الولايات المتحدة». وأشار إلى أن من الخيال الاعتقاد بأن الرئيس «اتّخذ إجراءات متهوّرة ومندفعة من دون تخطيط أو توقّع لما سيحدث بعد ذلك»، إذ تشير بصمة سليماني»، يقول قيادي في المقاومة. ربما يكون في ذلك مبالغة؟ بردّ القيادي: «من يعرف كيف كان يتعامل الحاج مع فلسطين لا يرى في هذا الكلام أيّ مبالغة... صحيح أنه يهتمّ بأدق التفاصيل في كلّ خطواته والمعارك التي خاضها، لكن عندما يتعلق الأمر بفلسطين تصير التفاصيل عشقاً، لدرجة أنه كان يمكن أن تسأل الحاج الكبير، كما كنا نُكنّيه، عن شوارع في غزة أو جنين فيجيبك عنها». هذه التفاصيل هي التي قادت الشهيد إلى الإشراف شخصياً على إيجاد طريق للصواريخ والأسلحة كي تصل القطاع وتُغيّر المعادلات، فالقرن الأفريقي، مروراً بإريتريا ثمّ السودان حيث المصانع المُخصّصة لتجميعها، قبل أن تُرسَل إلى المقاومة

عن قرب، وكان في مقدورها استهدافه قبل عملية الجمعة. بحسب وزير الخارجية، مايك بومبيو، فإن الجنرال كان يحضّر لما وصفه بـ«عمل كبير» يهدّد «أرواح مئات الأميركيين». لكن الوزير امتنع في مقابلتين أجرتهما معه شبكتا «فوكس نيوز» و«سي إن إن» عن تفنيد تفاصيل «التهديد» المزعوم، مكتفياً بالقول: «كنا نعلم أنه وشيك»، عبر الركون إلى «التقييم الاستخباراتي الذي وجّه عملية اتخاذ قرارنا»، ليعود لاحقاً ويؤكد أن بلاده ملتزمة «خفض التصعيد».

بإزاحتها سليماني من المشهد، تكون إدارة دونالد ترامب قد عزّزت شوكتها في خاصرة المنطقة، وأقدمت على فعل ما عزفت عنه الإدارتان السابقتان (بوش وأوباما). يعني ذلك أن قراراً مؤجلاً اتّخذ في ذروة التصعيد الإقليمي، ولكن لماذا الآن؟ بالنسبة إلى الرئيس الأميركي، فإن قائد «قوة القدس» كان يجب أن «يُقتل قبل سنوات عديدة»، بسبب دوره في «قتل أو إصابة آلاف الأميركيين بجروح بالغة على فترة طويلة، وكان يخطط لقتل عدد أكبر بكثير... لكنه سقط». لاحقاً في المساء، بدأ ترامب بإعادة نشر تغريدات معجبيه، إحداها كانت لافتة بشكل استثنائي. وعلى طريقة تقديم معلومات مجانية، تقول التغريدة: «هل كنت تعلم: خطّط سليماني لهجمات لبيبا عام 2012، لأنه كان على علم مسبق بالسلاح المرسَل من ملحق وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية إلى المتمردين السوريين»، ليخلص كاتبها إلى أن الجنرال الشهيد يتحمّل «مسؤولية» ما جرى في بنغازي (قتل أربعة أميركيين من بينهم السفير). جرياً على عادته، ذكّر الرئيس الأميركي العراقيين بأن بلاده دفعت لهم «ملايين الدولارات في سنة واحدة، وتفعل ذلك منذ سنوات عديدة»، معتبراً أن ذلك «يأتي على رأس أمور أخرى فعلناها من أجلهم».

حربٌ «ديموقراطية»

مزيدٌ من الاستقطاب أرخى بثقله على أميركا بعد قرار رئيسها الذهاب بعيداً في التصعيد ضدّ إيران في الحديث عن علاقة الشهيد الجنرال قاسم سليماني بفلسطين كلام طويل، وقصص مَخبّأة ربما ستظهرها الأيام القريبة. لكن معرفة النزر اليسير منها يكفي لفهم ما كانت تعنيه فلسطين، والقدس خصوصاً، لقائد «فيلق القدس». وإن كانت علاقة سليماني بفلسطين قد بدأت منذ شارك في طلائع الثورة الإسلامية في إيران، فإنها أخذت مسارها عسكرياً وإدارياً سنة 1998، عندما استلم قيادة الفيلق، وهو جزء من «حرس الثورة»، خَلَفاً لأحمد وحيدي الذي أدار هذا الملف لسبع سنوات. منذ ذلك التاريخ وحتى استشهاده أمس، قاد سليماني الفيلق الشهير 21 سنة، شهدت خلالها فلسطين انتفاضة الأقصى الثانية (2000) التي تَلَتْها نقلة نوعية في قدرات المقاومة الفلسطينية، ما عادت خافية على أحد.

«تقريباً لا يوجد في فلسطين صاروخ، أو حتى بندقية، ليست عليها بصمة سليماني»، يقول قيادي في المقاومة. ربما يكون في ذلك مبالغة؟ بردّ القيادي: «من يعرف كيف كان يتعامل الحاج مع فلسطين لا يرى في هذا الكلام أيّ مبالغة... صحيح أنه يهتمّ بأدق التفاصيل في كلّ خطواته والمعارك التي خاضها، لكن عندما يتعلق الأمر بفلسطين تصير التفاصيل عشقاً، لدرجة أنه كان يمكن أن تسأل الحاج الكبير، كما كنا نُكنّيه، عن شوارع في غزة أو جنين فيجيبك عنها». هذه التفاصيل هي التي قادت الشهيد إلى الإشراف شخصياً على إيجاد طريق للصواريخ والأسلحة كي تصل القطاع وتُغيّر المعادلات، فالقرن الأفريقي، مروراً بإريتريا ثمّ السودان حيث المصانع المُخصّصة لتجميعها، قبل أن تُرسَل إلى المقاومة

صلات الجنود الى بيروت؟

أرسلت الولايات المتحدة، في الأشهر الأخيرة، أكثر من 14 ألف عسكري في سياق تعزيز حضورها الإقليمي. كما أعلنت إرسال نحو 750 جندياً إضافياً عقب اقتحام السفارة الأميركية في بغداد يوم الثلاثاء. وبحسب وزارة الدفاع الأميركية، فإن كتيبة من «قوّة الاستجابة العالمية» للفرقة 82 المحمولة جواً (تراوح بين 3000 إلى 4000) عنصر ستتوجّه في الساعات المقبلة إلى الشرق الأوسط، وستنتشر في الكويت لرفع قدرات القوات الأميركية وجهوزيتها، في استعراض للقوّة بعد اغتيال الجنرال قاسم سليماني. كذلك، وضعت الولايات المتحدة قوة عسكرية قوامها المئات في حالة تأهب، للتوجه إلى لبنان لحماية السفارة الأميركية في بيروت، وفق ما أفاد به مسؤول عسكري أميركي وكالة «أسوشيتد برس». وقال المسؤول إن القوة المتمركزة في إيطاليا وُضعت في حالة تأهب، كخطوة ضمن عدد من الإجراءات العسكرية لحماية المصالح الأميركية في المنطقة، موضحاً أن «البنتاغون» قد يرسل ما بين 130 و700 جندي إلى بيروت.

(الأخبار)

القدس... قِبلته التي لا تتبدّل

عبد الرحمن نصار

في الحديث عن علاقة الشهيد الجنرال قاسم سليماني بفلسطين كلام طويل، وقصص مَخبّأة ربما ستظهرها الأيام القريبة. لكن معرفة النزر اليسير منها يكفي لفهم ما كانت تعنيه فلسطين، والقدس خصوصاً، لقائد «فيلق القدس». وإن كانت علاقة سليماني بفلسطين قد بدأت منذ شارك في طلائع الثورة الإسلامية في إيران، فإنها أخذت مسارها عسكرياً وإدارياً سنة 1998، عندما استلم قيادة الفيلق، وهو جزء من «حرس الثورة»، خَلَفاً لأحمد وحيدي الذي أدار هذا الملف لسبع سنوات. منذ ذلك التاريخ وحتى استشهاده أمس، قاد سليماني الفيلق الشهير 21 سنة، شهدت خلالها فلسطين انتفاضة الأقصى الثانية (2000) التي تَلَتْها نقلة نوعية في قدرات المقاومة الفلسطينية، ما عادت خافية على أحد.

«تقريباً لا يوجد في فلسطين صاروخ، أو حتى بندقية، ليست عليها بصمة سليماني»، يقول قيادي في المقاومة. ربما يكون في ذلك مبالغة؟ بردّ القيادي: «من يعرف كيف كان يتعامل الحاج مع فلسطين لا يرى في هذا الكلام أيّ مبالغة... صحيح أنه يهتمّ بأدق التفاصيل في كلّ خطواته والمعارك التي خاضها، لكن عندما يتعلق الأمر بفلسطين تصير التفاصيل عشقاً، لدرجة أنه كان يمكن أن تسأل الحاج الكبير، كما كنا نُكنّيه، عن شوارع في غزة أو جنين فيجيبك عنها». هذه التفاصيل هي التي قادت الشهيد إلى الإشراف شخصياً على إيجاد طريق للصواريخ والأسلحة كي تصل القطاع وتُغيّر المعادلات، فالقرن الأفريقي، مروراً بإريتريا ثمّ السودان حيث المصانع المُخصّصة لتجميعها، قبل أن تُرسَل إلى المقاومة عبر شبه جزيرة سيناء. كان هذا المسار الأول لرحلة الصواريخ قبل أن يُؤخذ القرار بأن تصنع غزة سلاحها بأنواعه. «عندما كان الوضع صعباً في سيناء، في مراحل عدة، وكانت المقاومة بحاجة ماسة إلى السلاح، غامر الحاج بفكرة أن تعبر السفن قناة السويس وتلقي الأسلحة ببراميل بعد دراسة التيارات البحرية الواصلة إلى غزة»، يروي القيادي، مضيفاً أن «المقاومين كانوا يدخلون مسافة قصيرة في البحر ويلتقطون غالبيتها... التوفيق الإلهي عامل أساسي في عمل الشهيد سليماني، لكن الجنون والإبداع يحضران دوماً».

بعد خروج العدو الإسرائيلي من غزة عام 2005، صارت فكرة «تسلّل» الحاج إليها مطروحة عنده فعلياً. هل دخل إلى القطاع؟ «ثمة حديث عن دخول الشهيد عماد مغنية مرة. لا أحد يستطيع أن يؤكد هذا الشيء. لكن سليماني كان يذكر هذا الأمر كتمنٍّ، وأحياناً ما بين المزح والجدّ. الفكرة كان أمامها موانع كثيرة... عملياً لم تَقُم شوكة المقاومة وتبسط سيطرة فعلية على غزة إلا بعد سنوات»، يستدرك القيادي. مع ذلك، ما من قائد فلسطيني بارز، عسكري أو سياسي، إلّا والتقاه الحاج، لأنه كان معنياً بلقاء الكلّ من دون استثناء لأيّ طرف مهما كان حجمه الميداني والشعبي، والإصغاء إليهم في أدق التفاصيل. أكثر من ذلك، توسّط في حلّ عدد من الخلافات بين الفصائل في مراحل مختلفة. كان يشاركهم الطعام، ولم تقتصر لقاءاته معهم على إيران، بل جرت في سوريا ولبنان... «ودول أخرى»، بحسب القيادي نفسه.

كان الرجل متابعاً دقيقاً لكلّ ما يتعلق بفلسطين، ليس في الشؤون العسكرية والأمنية فقط، بل وأيضاً التاريخية والجغرافية وحتى التراثية. وقد أنشأ وحدات متعدّدة المهمّات في الملف الفلسطيني، مثل الإعلامية والسيبرانية والحرب النفسية... إلخ. «تابع كلّ شاردة وواردة في فلسطين. وكان عاشقاً للقدس وتاريخ المدينة... ربما يكون انشغل بسبب الحرب في العراق وسوريا وأيضاً اليمن، وأوكل جزءاً من مهماته إلى نائبه (إسماعيل قاآني، المسؤول عن الفيلق الآن) ومسؤولي الملفات المشهورين بأسمائهم المستعارة، لكنه في المحطات المفصلية كان حاضراً دائماً، ولم يُفوّت لقاء واحداً مع الفصائل الفلسطينية عندما كان يُطلب منه».

يقول القيادي: «ثمة مثال بسيط على عمق العلاقة: لمّا قرّرت حماس تعديل ميثاقها السياسي، بادرت بأن أرسلت إليه نسخة للاطلاع عليها بعد أن اعتمدها مكتبها السياسي، لكي تأخذ ملاحظاته قبل أن تعلن الميثاق».

أما ما حصل عليه سليماني من تسهيلات كبيرة من القيادة السورية للمقاومة الفلسطينية، فكانت توازي ما أخذته تلك الفصائل تلقائياً من دمشق خلال سنوات العلاقة الطويلة بينها. إذ حصل الجنرال على إذن من الرئيس بشار الأسد لإجراء التجارب الصاروخية في البادية السورية، كما نال إذناً بهبوط طائرات على مدرج خاص في أحد المطارات العسكرية، من دون أن يسأل العسكريون السوريون عن هويات الآتين والخارجين، إلى جانب امتيازات أخرى كثيرة. وما هي إلا سنوات قليلة حتى أتى الاختبار الصعب: الحرب في سوريا. يجزم كلّ العارفين بالعلاقة أن سليماني لم يقطع، حتى في أسوأ مراحل التوتر بين «حماس» وإيران، التواصل مع الحركة، ولاسيما جناحها العسكري الذي استمرّ في تزويده بالسلاح والمال من دون تأخير أو منع. كان هذا ثابتاً أساسياً لدى سليماني: لا شيء يمنعنا من أن ندعم فلسطين حتى لو خضنا مواجهة مباشرة مع أيّ فصيل فلسطيني! وبمجرد أن انتهت المعارك الكبرى في سوريا، سارع الجنرال إلى تحسين العلاقات بين أطراف المحور كافة، فأصلح كثيراً منها وخفّض حدّة التوتر في أخرى، على أن يأخذ الوقت مداه في حلّ ما تبقى.

> لما أعلن ترامب القدس «عاصمة لإسرائيل» سارع سليماني إلى الاتصال بغزة

حتى الأسابيع الأخيرة، أجرى سليماني لقاءات مع عدد كبير من القياديين الفلسطينيين، العسكريين والسياسيين، دارساً معهم بالتفصيل احتياجاتهم الملحّة في ضوء الضغوط الاقتصادية المتصاعدة على محور المقاومة، ومُقيّماً معهم المواجهات الأخيرة مع العدو الإسرائيلي. يستذكر قياديون أنه في الشهر الأخير من عام 2017، لما أعلن دونالد ترامب القدس «عاصمة لإسرائيل»، اتصل سليماني بقيادة «كتائب القسام»، الذراع العسكرية لحركة «حماس»، و«سرايا القدس»، الجناح العسكري لـ«الجهاد الإسلامي»، في غزة. كان الاتصال مباشراً و«حميمياً»، وفيه تأكيد من الحاج لاستمرار «الدعم المفتوح» لفصائل المقاومة كي تكون «جاهزة للدفاع عن المسجد الأقصى». لم يحدّد لهم الآليات والكيفية، كما العادة، بل قال إن «كلّ مقدّراتنا وإمكاناتنا تحت تصرفكم في معركة الدفاع عن القدس».

(أ ف ب)

> مزيدٌ من الاستقطاب أرخى بثقله على أميركا بعد قرار رئيسها الذهاب بعيداً في التصعيد ضدّ إيران

المشهد السياسي

اغتيال سليماني والمهندس لا يؤخر تأليف الحكومة؟

فرضت التطورات الآتية من صوب بلاد الرافدين تحدّيات جديدة وأسئلة كثيرة عن مدى تأثيرها على مسار التأليف الحكومي. فهل يستعجل محور المقاومة التأليف أم يُجري تعديلات على سقوفه بعدما أصيب في الصميم؟

في غمرة إشاعة مناخ إيجابي بأن التأليف الحكومي على بُعد أيام قليلة، فتحت البلاد عينيها على قلق من المنتظر الآتي، وأبقتهما على العراق الذي وصل منه الخبر ـ الصدمة: «الولايات المتحدة تغتال قائد فيلق القدس في الحرس الثوري قاسم سليماني ونائب رئيس الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس». فجأة، انحرف المركب اللبناني المثقوب مالياً واقتصادياً واجتماعياً عن مساره الداخلي، وأخذته الريبة من تطوّر تصعيدي بمثل هذا الحجم الى مكان آخر. إذ اعتادت بيروت، التي عاشت على مقولة «عراق قوي... لبنان مستقر»، تهيّب ما يحصل في بلاد الرافدين. واستهداف شخصيات

> **مصادر 8 آذار: «لم يعُد لدينا ترف الوقت والدلع والوقوف عند نقاط صغيرة كاسماء وحقائب»**

بحجم سليماني والمهندس على أرض العراق يعني بالمعنى السياسي «سقوط الخطوط الحمر» وولادة فوضى عارمة بأشكال مُختلفة في المنطقة لن يكون لبنان بمنأى عنها. في ظل هذا الجو، صارت عملية التأليف أو أقله الحديث عنها ومتابعة مسارها ـ يوم أمس ـ مجرّد تفصيل في المشهد القاتم وسط تخوّف من اصطدام تكون كلفته كبيرة. لم يكُن أحد يهتمّ بما آلت إليه الأمور في ما يتعلّق بالمفاوضات الحكومية، وكان الزمن توقّف بها عند الاجتماع الذي عُقد أول من أمس بين الرئيس المكلّف حسان دياب ورئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل ووصف بـ«الإيجابي الذي يحتاج الى تفاهمات إضافية حول بعض الأسماء والحقائب».

ولأنه غالباً ما «تُغيّم في الخارج وتُشتّى عندنا»، بدأت الأسئلة تتوالد عمّا إذا كانت المُستجدات سوف تسرّع تأليف الحكومة أم ستُعيدها الى المدّ والجزر في شأن الأسماء المرشّحة للتوزير والحقائب الخاضعة للتوازنات الطائفية والمذهبية؟ هل من مصلحة محور المقاومة في لبنان أن يُسهّل أكثر لدياب من أجل الإفراج عن حكومته أو يُجري تعديلات في سقوفه التفاوضية تدفعه الى التشدّد أكثر؟ الاتجاه حتى الآن يسير نحو «التعجيل في التأليف تداركاً للتطورات، فما يُمكن تحقيقه الآن، قد لا يعود مُمكناً في حال التصعيد وذهاب الأمور الى المجهول»، وفق ما ترجّح مصادر مطلعة في فريق 8 آذار.

وتشير الى أن «العقد الموجودة حالياً يُمكن تذليلها، وقد قطع فريقنا

اعتادت بيروت التي عاشت على مقولة «عراق قوي... لبنان مستقر» تهيّب ما يحصل في بلاد الرافدين (هيثم الموسوي)

في الواجهة

«الثنائي» أعطى دياب ما لم يُعطه للحريري

أضحى صدور مراسيم حكومة الرئيس حسان دياب وشيكاً. إلا أن الامتحان الفعلي الذي ينتظرها مزدوج: شارع الحراك والشارع السنّي. لكن أيضاً الوصول الى مجلس النواب ومثولها أمامه. لا تخشى الثقة، بل اللاعبين بنار الميثاقية

ليس حتميا ان عمر الحكومة الجديدة 6 اشهر فقط (هيثم الموسوي)

نقولا ناصيف

رغم الشدّ المتبادل بين الأفرقاء المشاركين، مع الرئيس المكلف حسان دياب، في تأليف الحكومة على الأسماء أكثر منها على الحقائب، وقد أضحت في معظمها محسومة وموزعة الحصص عليهم، من الواضح أن الشق الآخر من هذه المهمة يتركز على مرحلة ما بعد صدور مراسيم الحكومة الجديدة. من الوهم الاعتقاد أنها ما إن تحوز ثقة البرلمان ستكتفي بستة أشهر في الحكم. حكومة 2019 برئاسة الرئيس سعد الحريري على إثر الانتخابات النيابية قبل ستة أشهر، توقعت لنفسها أن تستمر طوال النصف الثاني من ولاية الرئيس ميشال عون، بيد أنها سقطت بعد 8 أشهر وستة أيام. كان المتوقع بقاء الحريري في السرايا طوال سني الولاية، فإذا الرجل يُخرج نفسه بنفسه ولا يعود.

بضعة معطيات يقاربها الأفرقاء المعنيون بتأليف الحكومة باهتمام، ويأخذونها في الاعتبار:

1 - لا عودة الى ما قبل تكليف دياب بعد إيصاد الأبواب بإحكام أمام عودة الحريري الى السرايا. وهو الرهان الأساسي الذي عوّل عليه غداة تكليف سواه، وتوقع أن يحمل تصعيد الشارع السنّي دياب على الاعتذار عن تأليف الحكومة. وفيما يمضي الحريري إجازة الأعياد في باريس كأنه غير معني بما يجري في لبنان، ولا يرأس حكومة تصريف الأعمال، ولا شأن له بالضائقة النقدية والاقتصادية وتسيّب الشارع، كان خلفُه بتأنّ ملموس يحاول تفكيك مع الرئيس دياب شوطاً وتقدّماً كبيراً»، معتبرة أن «الملفات الداخلية، التي باتت تُعتبر صغيرة، مقارنة بالحدث الإقليمي والدولي، يجب الانتهاء منها، وخاصة أن لا ممانعة دولية لحكومة دياب، ولأن الردّ الذي توعّدت به إيران يفتح الباب على احتمالات شتّى». واعتبرت المصادر أنه «لم يعُد لدينا ترف الوقت ولا الدلع ولا الوقوف عند نقاط صغيرة كأسماء وحقائب، فالأمور لا تحتمل».

وفيما غابت المعلومات والمعطيات الحكومية عند الأطراف المعنية، بقي الثابت الوحيد هو موقف رئيس الجمهورية العماد ميشال عون الذي تحدّث عن «الحكومة ستُبصر النور الأسبوع المُقبل»، رجّحت المصادر أن «يحصل ذلك يوم الاثنين». وفسّرت المصادر هذا الكلام بـ«نية الرئيس عون التسهيل، ولا سيما أن النقاط الخلافية عالقة عند الأسماء والحقائب المسيحية بالدرجة الأولى، بسبب عدم الاتفاق على اسم وزير الخارجية ونائب رئيس الحكومة ووزير الدفاع، كما وزيري الطاقة والعدل». كذلك «ثمة اختلاف بشأن توزيع حقائب مثل العمل والبيئة». وفيما خُسمت الحصة الشيعية لكل من «حزب الله» وحركة «أمل» (4 وزراء) بحصولهما على حقائب المال والصحة والزراعة، إضافة إلى الصناعة، قالت المصادر إن «أسماء الحصة السنية تشمل: الداخلية والاتصالات والتربية مبدئياً، منها من سمّاها دياب نفسه، وواحد بالتشاور مع النواب السنّة في فريق 8 آذار».

وبينما تداولت معلومات عن لقاء بين دياب وباسيل أمس، لم يجر تأكيده، قال رئيس كتلة «الوفاء للمقاومة» النائب محمد رعد «نحن نتعاطى الآن مع الحكومة على أساس أنها تأتي حكومة لكل اللبنانيين، إذا أصر البعض على أن يتعامل معها على أساس أنها ليست حكومته ولا تمثله فنحن ليس لنا في هذه الحكومة أكثر مما لهم، ولكن سنتعاطى إيجابياً بما يحفظ وحدة وطننا وكرامة شعبنا ونحن لا نتبنى حكومات، إنما نشارك فقط خدمة لأهلنا».

(الأخبار)

عام 2013 ثقة 68 صوتاً، رغم أن تيار المستقبل كان في عدادها. بيد أن المثل الأسطع على علاقة محتملة بين الثقة المتدنية ومقدرة الحكومة على ممارسة الحكم يكمن في حكومة 2011. حرَض الحريري الشارع السنّي على ميقاتي ودفعه الى الشغب، من غير أن يتمكّن من حمل الرئيس المكلف آنذاك، رغم طول المدة التي استغرقها التأليف وبلغت 139 يوماً، على الاعتذار أو إخفاقه في أن يحكم. فصمدت حكومة ميقاتي طوال سنتين وشهرين وأسبوع. اللعبة نفسها كررها الحريري فور تكليف دياب، ولا يزال يطلق ـ وإن عبثاً ـ الزمام لأنصاره في بيروت والبقاع الأوسط وبعض الشمال لإقفال الطرق.

في أي من الحكومات تلك، وخصوصاً حكومة ميقاتي التي قاطعها تيار المستقبل من غير أن يتمثل فيها، كذلك حزب القوات اللبنانية وحزب الكتائب ما خلا وليد جنبلاط الذي انضم إليها، لم تُثر فيها مسألة الميثاقية الوطنية. في حكومة 2011، جلس الوزراء السنّة على مقاعدهم ولم يكن بينهم مَن يمتّ بصلة للحريري، من دون أن يتذرع أحد ما بافتقار الحكومة الجديدة الى الشرط الصلب للميثاقية، وهو استبعاد طائفة عنها.

4 - مع أن دار الفتوى لم تستقبل حتى الآن الرئيس المكلف، رغم التقليد المتبع بزيارته إياها فور تكليفه، إلا أن المفتي الشيخ عبد اللطيف دريان لم يتخذ موقفاً سلبياً من تكليف دياب ولا ناواه، مكتفياً بالصمت. وهو موقف مترجح ما بين سلبية ظاهرة وإيجابية مضمرة غير كافية، ما دام صاحب الدار لم يقل حتى الآن إنه لا يريده. ومع أن الرئيس المكلف يفضّل احتضان المرجعية الدينية السنّية الأولى له في مفاوضات شاقة يجريها مع الثنائي الشيعي، فسّر البعض الصمت والتريث الواضحين لدار الإفتاء كما لو أنه يمنح الرئيس المكلف حظوظاً إضافية كي يتيقّن من الحكومة التي يؤلّفها، ومن أن لا افتئات على حصة الطائفة فيها ولا على صلاحيات الرئيس المكلف المتصلة مباشرة بالتأليف. عناد دياب في الإصرار على شروطه، زكّى أيضاً الفرصة التي منحه إياها الحراك الشعبي الذي يلزم التهدئة بإزاء الرئيس المكلف وينتظر صدور مراسيم الحكومة الجديدة.

بالذات من غير أن يكون حزبياً فيها، في مقابل تسليم الرئيس المكلف بأن الكتل هذه تمثل الغالبية النيابية التي تمسك بعنق حكومته في البرلمان.

3 - ستمثل حكومة دياب أمام مجلس النواب، وستحوز الثقة بالغالبية المطلقة أو الغالبية النسبية في ظل توافر النصاب القانوني للجلسة تبعاً للمادة 34 من الدستور، وهو النصف

> **وازن الثنائي بين تخلّيه عن حكومة تكنوسياسية وإمساكه بالغالبية النيابية**

زائداً واحداً. عام 2004، حازت حكومة الرئيس عمر كرامي ثقة نسبية هي 59 صوتاً بسبب مقاطعة تيار المستقبل وحلفائه لها، وفي عام 2011، حازت حكومة الرئيس نجيب ميقاتي ثقة 68 نائباً، أكثر بقليل من النصف زائداً واحداً، ووُصفت ـ كما من قبل حكومة كرامي ـ بأنها ذات لون واحد. كذلك حازت حكومة الرئيس تمام سلام العقد والعراقيل من غير أن يجد نفسه ملزماً بتقديم تنازلات فادحة.

2 - لا جدال في أن مراسيم الحكومة الجديدة ستبصر النور خلال أيام قليلة، تبعاً لمعظم عناصر التصوّر الذي وضعه لها الرئيس المكلف: صغيرة، وزراء تكنوقراط ليس بينهم نواب ولا حزبيون، أحرز مكسباً أساسياً غير محسوب بحمله الثنائي الشيعي على التخلي عما لم يكن متوقعاً التنازل عنه، وكان في صلب الخلاف مع الحريري. لن تكون الحكومة الجديدة تكنو ـ سياسية تبعاً لما أعدّ له رئيس الجمهورية والثنائي الشيعي عندما فاوض الحريري، ثم عندما فاوض المرشحين الثلاثة لترؤس الحكومة قبل اعتذارهم، ثم عندما بدأ التفاوض مع دياب. تساهل الثنائي الشيعي بالتخلي عن توزير النواب ووزراء الصف الأول، وتسمّر أمام خط الدفاع الأخير وهو حكومة تكنو ـ سياسية.

اليوم، لم يعد أحد يتحدث عن هذا الشرط بما فيه الفريق الشيعي، من غير أن يتوجس أو يشكك في الرئيس المكلف. لم يعد يصرّ على الغطاء السياسي الذي يوفره الوزراء الحزبيون للوزراء الخبراء، ولا التمسك باحترام نتائج انتخابات 2018. نشأت للتوّ معادلة جديدة أكدت شراكة التأليف بين الرئيس المكلف والكتل الرئيسية: تجاربه الكتل في توزير تكنوقراط وإن انبثقت تسمية بعضهم منها هي

تقرير

هل يعفى المتخلّفون عن سداد القروض من الغرامات؟

بالرغم من تحفّظ المصارف، أقرّت لجنة المال والموازنة النيابية اقتراح تجميد الإجراءات التي تتخذها المصارف بحق المتخلّفين عن سداد القروض المدعومة من مصرف لبنان

إيلي الفرزلي

أنهت لجنة المال النيابية دراسة موازنة 2020، واعدّ رئيسها إبراهيم كنعان التقرير النهائي، تمهيداً لرفعها إلى الهيئة العامة، بعدما أنجزت وزارة المال بدورها احتساب التعديلات التي أقرتها اللجنة. تلك التعديلات ساهمت في خفض العجز، ما يصل إلى ألف مليار ليرة. لكن مع ذلك، لا أحد ينظر إلى هذه الأرقام بوصفها إنجازاً. كل من في اللجنة يدرك أن تقدير الإيرادات لن يصيب، بل سيتراجع بشكل كبير، فيما النفقات سترتفع. ذلك أمر بدأت تباشيره تظهر في الأشهر الأخيرة من العام الماضي، ولا يبدو أنه سيُحلّ في المدى المنظور، بما ينذر أن يفوق العجز المحقق كل توقعات. لكن مع ذلك، يبدو جلياً أن التعديلات التي طرأت على المشروع، في لجنة المال، ساهمت في إدخال بعض البنود المتصلة باستفحال الأزمة المالية والاقتصادية.

أبرز ما تضمنه المشروع، في هذا الصدد، هو المادة 36، التي تتعلق بإعفاء المتأخرين عن تسديد القروض المصرفية المدعومة من أي إجراءات عقابية، حتى نهاية حزيران المقبل، مع مفعول رجعي يبدأ من الأول من شهر تشرين الأول. في الجلسة الأخيرة التي عقدتها اللجنة، بحضور حاكم مصرف لبنان ورئيس جمعية المصارف وعدد من المصرفيين، تحفّظ المصرفيون على الاقتراح الذي قدمه النائب علي فياض. حجتهم أنه يشكل إعادة جدولة للديون. لكن النص النهائي للاقتراح ثُبّت في الموازنة. الإعفاء يشمل كل القروض المصرفية المدعومة من قبل مصرف لبنان، إن كانت إسكانية أو صناعية أو زراعية أو تكنولوجية أو بيئية. لم يتحوّل الاقتراح إلى قانون بعد. يحتاج إلى إقرار الموازنة في الهيئة العامة حتى يصبح نافذاً. ويُتوقع أن لا يلقى معارضة قاسية، إلا إذا أصر النواب، أعضاء مجالس إدارة المصارف ووكلائها وكبار مودعيها، على الدفاع عن مصالحها على حساب المقترضين. لكن حتى هذه الاعتراضات، إن وجدت، ستكون محدودة، لأن المسألة تطاول شريحة واسعة من المتضررين، وخاصة أن نص الاقتراح حرص على تقديم تسهيلات لا تؤثر على ملاءة المصارف، فلا تعديل لمعدل الفائدة ولا تعديل لمدة القرض، بل تأجيل للاستحقاقات. لكن الأهم أن الاقتراح يمنع المصارف من فرض إجراءاتها المعتادة في حالات التخلّف عن الدفع. فبحسب المستندات التي يوقّعها العملاء لحظة الحصول على القرض السكني، على سبيل المثال، فإنه بعد مرور ثلاثة إلى ستة أشهر، يحقّ للمصرف إلغاء الدعم على القرض وتحرير الفائدة (رفعها إلى معدلها التجاري)، كما يحق للمصرف مصادرة العقار وطرحه في المزاد العلني إذا تأخرت فترة التخلّف عن السداد. هذه الإجراءات سيكون مصيرها التجميد إلى ما بعد نهاية حزيران.

يشدد معدّ الاقتراح على أن هذه المادة لا تعفي من أي قرض ولا تشجع على عدم الدفع، لكنها في المقابل تقيّد إرادة الدائن في حالة التعسر.

خلافاً لما سعى المصرفيون إلى التحذير منه، فقد راعت المادة 36 مسألة الربط بين ملاءة البنوك وقدرتها على تمويل نفسها، وبين حماية المقترضين في ظل الأزمة غير المسبوقة التي يعيشها اللبنانيون. في الأسباب الموجبة، يشير فياض إلى أنه «مراعاة لأوضاع المواطنين، من أفراد وأصحاب مصالح، ونتيجة لخسارة عدد كبير من العاملين في القطاع الخاص رواتبهم أو تخفيضها، جرى إعداد هذه المادة».

أما المادة نفسها فتنصّ على أنه «خلافاً لأي نص آخر، تُعلّق حتى تاريخ 2020/6/30، مفاعيل البنود التعاقدية المتعلقة بالتخلف عن تسديد القروض المدعومة من سكنية وصناعية وزراعية وسياحية وتكنولوجية ومعلوماتية وبيئية، بحيث لا تسري على المقترض أي جزاءات قانونية أو تعاقدية، بما في ذلك زيادة على معدل الفائدة بسبب التأخر أو التعسر في تسديد قرض أو أي من أقساطه في المهل المحددة قانونياً أوتعاقدياً، أعتباراً من 2020/10/1. وتعلّق جميع الإجراءات القانونية والقضائية التي بوشرت أو اتخذت اعتباراً من الأول من تشرين الأول.

> **تمديد مهل دفع القروض المدعومة بمفعول رجعي من أول تشرين الأول**

وخلافاً لما يسوقه أصحاب المصارف، يصرّ النائب علي فياض على أن هذه المادة لا تشكّل إعادة هيكلة للديون ولا إعادة تشكيل للفائدة Rerating. كما يلفت إلى أنه بعد انقضاء الستة أشهر، لا يكون بإمكان المصارف العودة إلى تحصيل الفائدة بمفعول رجعي.

إضافة إلى تمديد مهل القروض، راعت موازنة 2020 عدم استفادة اللبنانيين من التسهيلات التي تضمّنتها موازنة عام 2019، بسبب الأزمة التي طاولت بتداعياتها كل الأفراد والشركات. ولذلك نصت المادة 22 منها على تمديد المهل المنصوص عليها في عدد من المواد الواردة في قانون موازنة عام 2019، والتي تتعلق بخفض الغرامات وتمديد مهل السداد والإعفاءات وتقسيط الضرائب (المواد 21، 22، 28، 29، 30، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 49، 51، 58، 70).

في المادة 37، أقرت اللجنة وجوب أن تستوفي الدولة جميع الضرائب والرسوم والأجور عن كل أنواع الخدمات التي تقدمها، عبر مختلف أنواع المؤسسات المملوكة أو المولة أو المدارة، كلياً أو جزئياً، من قبل الدولة، بالليرة اللبنانية فقط، بما فيها دفع إيجارات المباني المستأجرة من قبل الدولة.

وإذا اقتضت الضرورة معادلة الليرة اللبنانية بأي عملة أجنبية بالنسبة إلى أجور بعض الخدمات، فيكون ذلك إلزامياً وفقاً للتسعيرة الرسمية التي يفرضها المصرف المركزي اللبناني. تلك الإجراءات تتعلق حصراً بالإيجارات الحكومية، إلا أن في اللجنة من بدأ الحديث عن إمكانية استيفاء بدلات الإيجار المسجلة بالدولار، بما يوازيها بالعملة الوطنية بالسعر الرسمي لا بسعر السوق.

كذلك، فقد تضمنت المادة 40 النص القانوني المقترح لتعديل قيمة ضمان الودائع المصرفية المشمولة بضمانة مؤسسة ضمان الودائع المصرفية. بحيث تضمن المؤسسة لدى المصارف العاملة في لبنان الودائع بالعملة اللبنانية وبالعملات الأجنبية مهما كان نوع هذه الودائع أو أجلها. وتشمل الضمانة، لغاية مبلغ خمسة وسبعين مليون ليرة لبنانية أو ما يعادله بالعملات الأجنبية رأسمالاً وفائدة، مجموع حسابات الودائع العائدة لمودع واحد لدى أيّ مصرف ويعتبر مركز المصرف وفروعه مؤسسة واحدة...

إعفاءات 2019 تُجدد في موازنة 2020 (هيلم الموسوي)

قضية اليوم

أولويات سلامة لا تتبدّل: حماية الدائنين وسحق الفقراء

محمد وهبة

لا يزال الدائنون على رأس أولويات حاكم مصرف لبنان رياض سلامة. كل ما يسعى إليه هو أن ينال رضاهم، سواء كانوا مصارف أم صناديق استثمارية أو أي شركة محلية وخارجية. لذا قدّم لهم عرضاً، الاثنين الماضي، للقيام بعملية استبدال تشمل حصوله على سندات يوروبوندز محمولة منهم تستحق في آذار ونيسان وحزيران 2020، مقابل منحهم سندات طويلة الأجل من محفظته. لم يفصح عن سعر الاستبدال لكل شريحة من السندات، لكن الواضح أنه سيتخلّى عن السندات التي حصل عليها من وزارة المال أخيراً بفائدة 11,5% و12% وتستحق في 2029 و2035 (قيمتها الإجمالية 3 مليارات دولار)، ما يعني أن حاملي هذه السندات الطويلة

عرض الحاكم على المصارف استبدال سندات يوروبوندز قصيرة الأجل باخرى يحملها طويلة الأجل

الأجل سيحصلون على أرباح أكبر ناتجة من فوائدها المرتفعة، فيما سيضمن سلامة بعد حصوله على السندات القصيرة الأجل ألا يطالب اي أجنبي بتسديد قيمتها خارج لبنان فتسبب نزفاً إضافياً في احتياطاته بالعملات الأجنبية. في المحصلة، ينسّى لرياض سلامة ممارسة لعبته المفضلة: شراء المزيد من الوقت. هنا، أيضاً، ليس مهماً من يدفع كلفة هذا الوقت. فهو لا يكترث للمودعين الذين تحتجز المصارف أموالهم ومدّخراتهم بالتنسيق معه، ولا يهمه أن من يدفع كلفة انخفاض قيمة الليرة في السوق الموازية هم أجراء القطاعين العام والخاص الذين يتقاضون رواتبهم بالليرة، و«آخر همّه» أن يكون هناك ركود تضخمي قاتل لما تبقى من نشاطات اقتصادية ذات قيمة مضافة في لبنان وللطبقتين الفقيرة والوسطى... هو أصلاً سخّر مقدرات

(هيثم الموسوي)

لبنان وأموال المغتربين لخدمة هذا الدين، وهو اليوم يعرض عليهم أن يغرفوا المزيد من المال العام خلافاً لكل الآراء والمواقف التي تنصح بأن يتوقف لبنان عن سداد الدين. سلوك سلامة يشي بأن أولوياته لم تتبدل: سحق الطبقات الفقيرة والوسطى وحماية مصالح الدائنين.

عرض سلامة جاء يوم الاثنين الماضي في اللقاء الشهري الذي عقده مع مجلس إدارة جمعية المصارف. ما قاله في اللقاء يشير إلى أنه لا يزال يتمسّك بالقبود التي فرضتها المصارف بشكل استنسابي على ودائع الزبائن، وأنه يرفض تنفيذ عملية إعادة هيكلة للدين العام رغم كل النصائح التي تلقاها بضرورة التوقف عن سداد الديون والبدء بإجراءات التفاوض مع الدائنين على نسبة الاقتطاع من السندات... طبعاً هذا الأمر لا يقع ضمن صلاحياته، إلا أن سلامة بوصفه يهيمن على القرار المالي في لبنان، هو المسؤول الأول عن هذا الملف.

على أي حال، دفع الحاكم المصارف للقيام بعملية استبدال السندات واعداً إياها بالأمان وبتحمل الخسائر عنها، سواء أجريت عملية إعادة جدولة الدين أو لم تتم: «هكذا عملية، تحول من دون إعادة جدولة ممكنة الحدوث قد يترتّب عنها خسائر على المصارف، وفي حال انتفت الحاجة لإعادة الجدولة نجري عملية الاستبدال معكوسة». المصارف وصناديق الاستثمار ستكون رابحة على الجهتين!

وكعادته، لم يكتف سلامة بتقديم هدية واحدة للمصارف التي يقال إنها خذلته في الأزمة الأخيرة وهرّبت أموالها إلى الخارج، فاعلمها بأن «هناك توجها لتعليق العمل بالتعميم المتعلق بتطبيق المعيار المحاسبي الدولي IFRS9 بسبب الظروف الاستثنائية، وأن مشروعاً في هذا الإطار أعدّته لجنة الرقابة على المصارف وسيأخذه مراقبو الحسابات في الاعتبار نظراً لصدور عن الـ Regulators مع تسجيلهم ما يعرف بالـ «Disclaimer». وهذه العبارة الأخيرة تعني أن مدققي الحسابات لن يسجّلوا في التقارير المتعلقة بحسابات المصارف أنهم موافقون على دقة الحسابات، ما يمكن أن يكون سببه عدم تمكينهم من الاطلاع على الحسابات أو تطبيق كل إجراءات الرقابة وسواها من عمليات الامتناع التي قد يمارسها المصرف لإعاقة عملية التدقيق (يمكن الاطلاع على معنى Disclaimer على الرابط الآتي: https://www.accountingtools.com/disclaimer-of-/16/2/2018/articles opinion).

ولم يعف سلامة نفسه من تحليل نتائج سياساته النقدية، إذ أشار إلى أن «لبنان يتجّه إلى اقتصاد نقدي»، مشيراً إلى أن السحوبات الورقية من مصرف لبنان بلغت في فترة الأعياد 130 مليار ليرة يومياً في مقابل 50 ملياراً في الفترة الماضية، كما أن المبالغ النقدية المسحوبة لا تعود إلى صناديق مصرف لبنان بل تذهب إلى التخزين بعملة التحويل وليس بالليرة. ما يقوله سلامة إن الناس تسحب جزءاً من مدخراتها وتشتري دولارات تخزّنها في المنازل تحسباً لانخفاض أكبر في سعر صرف الليرة تجاه الدولار.

وبرّر سلامة صدور التعميم الأخير الذي يلزم شركات تحويل الأموال بدفع قيمة التحويلات للمواطنين بعملة التحويل، بأن تحويلات المغتربين في الخارج صارت تأتي مباشرة إلى اسرهم وليس عبر المصارف. وأوضح أنه يعمل على مسالة تمويل المستوردين والتجار من خلال فتح اعتمادات، لافتاً إلى أنه تواصل بهذا الشأن مع «المصارف المراسلة ومع بعض المؤسسات الدولية لضمان الاستيراد للسلع الأساسية، لكن لم يحصل على جواب قاطع بعد»، بحسب ما ورد في المحضر.

تحويلات السياسيين: سلامة يعد بنشر الأرقام!

النقاش الذي دار في اللقاء الشهري بين الحاكم رياض سلامة والمصارف، يشي بأن سلامة كان «يضحك» على النواب الذين ليس لديهم المعرفة القانونية أو الكفاءة لمساءلته، أو أنهم كانوا متفقين على مسرحية هزلية تخلص بتصريحات عن متابعة التحويلات المالية العائدة لسياسيين إلى خارج لبنان. ففي اللقاء، أوضح سلامة الآتي: «إن هيئة التحقيق الخاصة لم تتلقّ من الخارج، من المصارف التي تلقّت التحويلات، أي مراجعة، ذلك أن واجبها معرفة أصحابها ومصدر هذه الأموال. كما أن مسؤولي الامتثال في المصارف لم يبلغوا عن أي حركات أموال غير طبيعية لهيئة التحقيق الخاصة. مصرف لبنان سينشر المعطيات والأرقام وتظهر عندها الحقيقة».

وما يعزّز هذا الاستنتاج أن بعض النواب طالبوا سلامة بالضغط على المصارف لتحويل أموالها من الخارج، لكنه أوضح أمام المصرفيين الآتي: «هناك حسابات المصارف لدى المصارف المراسلة يقابلها التزامات على المصارف اللبنانية، وهي مربوطة باعتمادات مستندية لتمويل التجارة الخارجية كما سبق وأوضحه في لجنة المال والموازنة».

مقدمات نقدية في رأس المال

في بداية اللقاء، أثار الحاكم رياض سلامة موضوع تطبيق التعميم الوسيط الرقم 532 الصادر بتاريخ 2019/11/4 الذي يفرض على المصارف زيادة رأس المال عن طريق المقدمات النقدية بالدولار الأميركي. وأشار سلامة إلى أن معظم المصارف أبلغته خطط التزامها، وأن على المصارف الأخرى السارعة إلى ذلك «لأن عدم الالتزام غير مقبول». وبحسب المعطيات المنشورة، فإن الجمعية العمومية لبنك انترکونتيننتال وافقت بتاريخ 27 كانون الأول 2019 على ضخّ المقدمات النقدية، وكذلك وافقت الجمعية العمومية لبنك بيبلوس على ضخّ 135 مليون دولار، فيما أعلن بنك الاعتماد اللبناني إنجاز هذه العملية. ودعا بلوم بنك إلى عقد جمعية عمومية في 14 كانون الثاني 2020 للموافقة على قرار مجلس الإدارة المتعلق بالمقدمات النقدية تطبيقاً للتعميم، وبنك بيمو أيضاً دعا إلى جمعية عمومية بهذا الخصوص أيضاً.

تقرير

متضامنون مع خليفة ضد «ارتهان» القضاء والجامعة اللبنانية

فاتن الحاج

أن يكون أحد القضاة الأعضاء في الهيئة الاتهامية في بيروت التي جرّمت عصام خليفة متعاقداً في الجامعة اللبنانية، فهذا سبب كافٍ لعدم حيادية المحكمة بالنسبة إلى مجموعات أكاديمية ومدنية ونقابية وثقافية خرجت، أمس، للتضامن مع خليفة ومع جامعته التي دخلها طالباً مناضلاً ومُنع من الالتحاق بها أستاذاً متعاقداً «لأسباب سياسية»، قبل أن «ينتزع» من ملاكها صفة الأستاذ النقابي لنحو 30 عاماً.

«عصام خليفة ليس وحيداً». هذا ما قاله متضامنون كثر ساروا أمس من الإدارة المركزية للجامعة إلى قصر العدل، دفاعاً عن «الحريات النقابية والأكاديمية وحرية التعبير»، ورفضاً لـ«سوء استخدام السلطة»، مطالبين بتبرئة خليفة وبحيادية القضاء واستقلاله.

ليس مستغرباً، كما قالت الأستاذة الجامعية الناشطة وفاء نون باسم المجموعات المتضامنة، «أن يسعى إلى تجريم خليفة من سعى إلى تنزيه وتحصين نفسه والجامعة اللبنانية من أي نقد عبر الطلب من القضاء حذف المقالات التي تناولته وتناولت الجامعة وعبر منع النشر للمستقبل، ومن ألغى مجلس الجامعة وحصر القرارات بنفسه لكونه رئيساً، وهو لن يتوانى عن إسكات أي صوت يلعب دور المراقب في الجامعة ويطالب بالمحاسبة». وتحدثت عن «قضاة غير شفّافين يمارسون القمع والرقابة المسبقة على حرية التعبير ويحاكمون أصحاب الكلمة الحرة والنقد على أنهم مجرمون وفاسدون، فيما ينخر الفساد صروح القضاء ومجمل المؤسسات العامة ومن ضمنها الجامعة اللبنانية».

واستغربت «صمت الأساتذة وأداتهم النقابية، أي رابطة الأساتذة المتفرّغين، إزاء مهزلة كهذه في حق نقابي كرّس حياته للدفاع عن الجامعة».

رئيس الهيئة التنفيذية لرابطة الأساتذة المتفرّغين في الجامعة، يوسف ضاهر، كان حاضراً في المسيرة التضامنية ليس بصفته الرسمية، إنما «كأستاذ ونقابي في الجامعة».

وفي مقابل غياب رابطة أساتذة الجامعة اللبنانية عن الحدث، أدان

غابت رابطة الأساتذة المتفرّغين في الجامعة عن الحملات التضامنية

(أرشيف)

أساتذة الجامعة الأميركية، في بيان، القرار «الذي يؤكد ارتهان السلطة السياسية للقرار القضائي وارتهان الجامعة للانتقام الفردي». ورأوا أنه «يشكل التفافاً على مبادئ ثورة 17 تشرين التي نادت بالحرية والعدالة الاجتماعية ودولة القانون والمؤسسات واستقلالية القضاء».

ومن المجموعات المتضامنة مع خليفة: مرصد مكافحة الفساد، من أجل جامعة وطنية مستقلة ومنتجة، تكتل أساتذة الجامعة اللبنانية، تجمع أساتذة مستقلين في الجامعات، تجمع مهنيات ومهنيين، التيار النقابي المستقل، تكتل طلاب الجامعة اللبنانية، تجمع نقابة الصحافة البديلة، المرصد اللبناني لحقوق العمال والموظفين، قطاعاً التربية والطلاب الحزب الشيوعي، اتحاد الشباب الديمقراطي، بيروت مدينتي، حركة «مواطنون ومواطنات في دولة»، مجموعة لحقي، ولجنة العسكريين المتقاعدين.

رابطة قدامى أساتذة الجامعة اللبنانية رأت، في بيان، أنّ «سَوْق عصام خليفة مخفوراً إلى القضاء يعني سَوْق الجامعة الوطنية إلى السجن»، داعية إلى جمعية عمومية، الثانية عشرة من الثلاثاء في 7 الجاري، للتداول والتنسيق مع أساتذة الجامعة وطلابها والفعاليات النقابية والثقافية والإعلامية ومختلف فصائل الحراك الشعبي بكل تنوّعاته بما يعيد الاعتبار إلى الجامعة اللبنانية وتصويب مساراتها.

رئيس «المجلس الثقافي في بلاد جبيل» نوفل نوفل قال، في بيان، إنّ «العصام خليفة آلافاً من الحُفر سيرافقونه إلى الدوائر القضائية ويهتفون للبنان والجامعة اللبنانية وحقّ الناس في العلم والاطلاع».

تقرير

مخالفة جديدة للنيابة العامة في قضيّة الأمين: عقوبة التوقيف التكديري خارج صلاحيّاتها

أيلده الخصين

مخالفة جديدة اقترفتها النيابة العامة في قضيّة المخرج ربيع الأمين، إذ أصدرت بحقّه، أمس، إجراءً «عقابياً» خارجاً عن صلاحيّاتها، قضى بإنزال عقوبة «التوقيف التكديري» بحقّه لمدّة ساعتين. التوقيف التكديري، أو الاحترازي، يعدّ إجراءً عقابياً يتّخذ من قضاء الحكم، لكنه عقاب اتّخذته النيابات العامة بما يتعدّى صلاحيّاتها على أكثر من ناشط أو معتقل خلال الانتفاضة الشعبيّة، ومن الأمثلة السابقة إشارة مفوّضة الحكومة لدى المحكمة العسكرية القاضية منى حنفير لتوقيف دانا حمود حتى صباح اليوم التالي في مخفر الأشرفية (على خلفيّة التعرّض لعنصر قوى أمن)، قرار قاضية غادة عون الإبقاء على الموقوفين الأربعة في سرايا جونية وزيارة نقيب المحامين محلم خلف لهم وتصريحه «بأننا نقف عند مبدأ قانوني وهو أن التوقيف الاحترازي ليس بعقوبة ولا يمكن تحويله الى عقوبة».

الأمين وصل إلى مكتب مكافحة جرائم المعلوماتية الثامنة صباحاً، وحُقّق معه بشأن الفيديو الذي ظهر فيه متحدّثاً إلى الإعلام عن العبارات المسيئة التي طلب منه حذفها بحق المصرفي مروان خير الدين صاحب الشكوى ضدّه. وبناء على إشارة المحامية العامة سائدا زكور، أوقف الأمين بين الساعة 12:30 و2:30 بعد ظهر أمس، ووقّع على تعهّد بعدم التعرّض لخير الدين بالإهانات الشخصيّة. هذا التوقيف «هو شكل من أشكال العقاب، الذي لا يحقّ للنيابة العامة اتّخاذه إذ إن صلاحيّاتها تشمل الادعاء أو الحجز وتحويل الموقوف مخفوراً إلى المحكمة»، وفق عضو لجنة المحامين المدافعين عن المتظاهرين المحامي أيمن رعد، وعليه يعلّق على إشارة زكوري بأنّها «إجراء غير قانوني وهو ليس من صلاحيّة النيابة العامة بل من صلاحيّة قضاء الحكم».

خلال التحقيق معه بشأن الفيديو (حديث إلى قناة «الجديد»)، قدّم الأمين وفق معلومات «الأخبار»، مطالعةً حول المصارف والقضاء، قبل أن يُختم التحقيق ويُترك بسند إقامة. وهو بذلك، يكون قد خضع للتحقيق للمرة الثانيّة في المكتب المذكور بسبب «مخالفة إشارة النيابة العامة (الأولى) بعدم التعرّض لخير الدين» في الفيديو الذي صرّح به لدى خروجه من التحقيق الأول يوم الاثنين، بعد الاستماع إلى إفادته في الشكوى المرفوعة ضدّه من بنك الموارد ورئيس مجلس إدارته ومديره العام خير الدين. تُرك الأمين الاثنين رهن التحقيق، على أن يزور المكتب صباح الثلاثاء لتلاقد من حذفه العبارات المسيئة، بإشارة من خوري. مع التذكير بأن الإشارة أيضاً لم تكن قانونيّة وفق المحامين، لأن أمر حذف المنشورات عبر مواقع التواصل يفترض أن يتخذ من محكمة الأساس. لكن المكتب أعاد استدعاء الأمين في الليلة نفسها، ولم يحضر لوجوده خارج بيروت

التوقيف التكديري، أو الاحترازي، إجراء عقابي يتّخذ من قضاء الحكم

ولعوارض صحيّة أصابته، إذ دخل المستشفى في اليوم التالي وأُجّل الموعد إلى صباح أمس لاستكمال التحقيق معه. وهذه أوّل دعوى تُرفع منذ بدء الانتفاضة من مصرفي ضدّ ناشط على خلفيّة منشورات عبر «فايسبوك»، وتتحرّك على أساسها النيابات العامة بما يخالف صلاحيّاتها ومعها المكتب المذكور.

يُذكر أن محامين من لجنة المحامين للدفاع عن حقوق المتظاهرين يتابعون قضيّة الأمين، الذي يجري التحقيق معه بسبب دعوى جزائية رفعها خير الدين ضدّه على اعتبار أن «منشوراته الجارحة تضمّنت تهديداً له ولأولاده وتحريضاً على القتل». في حين أن منشورات الأمين المستفزّة، جاءت ردّاً على صور نشرها المصرفي والوزير السابق أثناء رحلة صيد خارج لبنان، واتهامه الشعب اللبناني بالبذخ، ودعوته الناس إلى التقشّف وترويجه لتحويل الودائع من الدولار إلى الليرة. وعليه نظّم عدد من المتضامنين مع الأمين إلى وقفة أمام المكتب في تكتة العقيد جوزيف ضاهر، رفضاً لـ«حرب المصارف والمصرفيّين ضدّ المواطنين والناشطين».

تعاطي الإعلام العربي والعالمي مع انتفاضة لبنان

أسعد أبو خليل *

يظنّ بعض اللبنانيّين أن الإعلام الغربي لا يزال يلاحق قضيّة انتفاضتهم ويواكبها أوّل بأوّل. ومجرّد نشر تقرير لمحطة «سي. إن. إن» (في النسخة العالمية لا الأميركية) يُنعش آمال كثيرين باهتمام العالم بلبنان. لكن الإعلام الغربي نسيَ لبنان. لم يستمرّ اهتمام الإعلام الغربي بانتفاضة لبنان أكثر من أيّام قليلة فقط. كان المُبتغى أن تكون الانتفاضة مُوجّهة ضد حزب الله، والإعلام الغربي يريد انتفاضة ضد حزب الله، ومن أجل السلام مع إسرائيل (بات الإعلام البريطاني والأميركي والألماني والفرنسي متطابقاً في تغطية الشرق الأوسط، وهو منذ الحرب السورية يتطابق إلى درجة كبيرة مع تغطية إعلام طغاة الخليج). بلغ الحماس بمراسلة «نيويورك تايمز» في بيروت، فيفيان يي، إلى درجة أنها كتبت في اليوم التالي لاندلاع الاحتجاجات، أن التظاهرات توجّهت نحو الضاحية الجنوبية واقتحمت مكاتب نوّاب حزب الله (وبي هذه، خلافاً لمراسل آخر للجريدة، بن هبرد، لا تعرف كلمة واحدة من اللغة العربية ولا خلفيّة لها في دراسة الشرق الأوسط، مثل معظم المراسلين والمراسلات الغربيات في لبنان. ولّى عهد المراسلين الغربيّين المتخصّصين من أمثال أرنولد هوتنغر وبيتر مانسفيلد وإريك رولو وتابلز بانرلن وهلينا كوبان). الحقيقة لا تعني شيئاً، يستطيع المراسل أن يَخلُق واقعاً يبتغيه وينشره في الجريدة، وتصبح الصورة المرسومة في الإعلام الغربي مُتفوّقة على الحقيقة. ولأن التناغم بين الإعلام الغربي والإعلام الخليجي المُسيطر، كبير إلى هذه الدرجة، فإن الاعتراض على هذا التزييف يبقى خارج السياق والنشر (كتبتُ لمسؤول الشؤون الخارجية في «نيويورك تايمز»، بحكم معرفة سابقة، مُعترضاً على الكذبة المفضوحة للمراسلة في بيروت، مُطالباً بتصحيح لكن من دون طائل). أراد إعلام الغرب انتفاضة ضد حزب الله وسلاحه ومناصرة للسلام مع إسرائيل. الهوس بهذا الموضوع وصل إلى درجة أن حركة «أمل» لم تحظ بأي تغطية خاصّة بها، ولا سيما أن دورها في الانتفاضة، أو في قمعها بالأحرى، لم يَرد إلّا لماماً في الإعلام الغربي أو العربي (أو حتى اللبناني)، وكانت توصف هامشيّاً بـ«حليفة حزب الله»، كأن ليس لها تاريخ ووجود خاص بها. لكن الأمور في لبنان لم تسر كما الرغبة الصهيونية الغربية، فتحوّلت الأنظار عن لبنان، إلى أمكنة أخرى. الإعلام الغربي لا يختلف عن إعلام الأنظمة، ولا يرتقي عنه في درجة المهنية. خذوا وخُذن ما جرى في بغداد قبل أيام، عندما اقتحم محتجّون مدخل السفارة الأميركية في بغداد (وهي أكبر سفارة، وكلمة قلعة أقرب لوصفها من السفارة). فقد ناز كثيرون في الإعلام الأميركي والكونغرس، لأن محطة «سي بي إس» وصفت ما جرى أمام السفارة بـ«الاحتجاج». اعترض هؤلاء، وقالوا إن سلوك المحتجّين يخرج عن سلوك الاحتجاج. لكن قبل أسابيع فقط، عندما اقتحم محتجّون القنصلية الإيرانية في النجف وأحرقوها، كانت كل عناوين الصحف الغربية تصف هذه العملية بالاحتجاج. بحسب معيار إعلام الغرب، فإن العنف ضد أعداء أميركا وإسرائيل عمل سلمي، واللاعنف ضد أميركا وإسرائيل عمل إرهابي. المقاييس والمعايير تُقرّر بناءً على ميزان الصهيونية والعنصرية ومصلحة الاستعمار الغربي.

والغرب مهووس بأمن إسرائيل واحتلالها. وعداؤه لحزب الله لا علاقة له بقمع احتجاج رياض الصلح أو صور أو النبطية أو بعقيدة ولاية الفقيه. يريد الغرب وقف أي تهديد لإسرائيل، وإزالة أي دفاع وطني في الدول المحيطة بفلسطين. كان هذا مكمن عدائهم لياسر عرفات، عندما كان لـ«منظمة التحرير الفلسطينية» قوة عسكرية لا بأس بها (وإن فرّط بها عرفات وأساء استعمالها: ألم يقل فيه برجنسكي إنه لم يكن جاداً في القتال ولم يكن جاداً في الدبلوماسية؟)، وهذا مكمن عدائهم لكل من يملك سلاحاً رادعاً ضد إسرائيل (الغرب يؤيّد الجيش اللبناني، ليس لأنه يستطيع الدفاع عن لبنان، بل لأنه يعجز عن الدفاع عن لبنان). ومهمة الإعلام الغربي باتت سهلة في بلادنا، لأنهم لا يتحدّون قيم النخب الثقافية والإعلامية السائدة، بل هم يصنعونها ويتماشون معها (والطاقم المحلّي في مكاتب وسائل الإعلام الغربية، يكون إما خَرّيجاً لوسائل الإعلام الخليجي أو هو في طريقه للعمل في وسائل الإعلام الخليجية، أو في محطة «الحرّة»، أي محطة البروباغندا الحكومية الأميركية الرسمية). الإعلام المحلّي قبل حرب الخليج في عام 1990، كان إعلاماً قَومياً معادياً للاستعمار الغربي والصهيونية. أما الإعلام المحلّي اليوم، فقد بات مُدجّناً وخاضعاً بدرجة كبيرة لتوجّهات ومشيئة الإدارة الأميركية (ومكتب الإعلام الأميركي في دبي «يُنسّق مع كل مدراء الإعلام في العالم العربي، ويحرص على التخفيف من اللهجة ضد إسرائيل وأميركا»، يتلقّى مدير «الجزيرة» (كما أخبرني وضّاح خنفر في حينه) تقريراً دورياً مفصّلاً من وزارة الخارجية الأميركية في نقد تغطية «الجزيرة»، بغية تغييرها لتخفّف من إزعاجها. كان ذلك قبل سيطرة الإخوان على إعلام «الجزيرة». لم تعد تُسمع انتقادات «الجزيرة» في الإعلام الأميركي، و«العربية» نسخة عربية من الإعلام الصهيوني الغربي، وحتى الإسرائيلي.

الإعلام اللبناني ضاع واضطرب في تغطية الانتفاضة اللبنانية. في اليومين الأولين لها، عبّرت المحطات اللبنانية عن قلق كبير لأن الفقراء (عراة الصدور) كانوا في طليعة الاحتجاج، وظهرت بوادر طفيفة للوندلية (أي التخريب المتعمّد للممتلكات العامّة، والاجتراح العربي للكلمة الأجنبيّة لكميل شمعون في مطلع الحرب الأهلية في لبنان). أصاب المحطات الثلاث هلعٌ شديد في بداية الاحتجاجات، وخصوصاً محطتي «إل. بي. سي» و«إم. تي. في». كان يزيك وهبة يتجوّل في وسط البلد كأنه يجول بين أنقاض دريسدن في الحرب العالمية الثانية، وكان يصف بأسى وقتامة حالة زجاج مباني بعض المصارف التي تعرّضت للكسر. كيف يتعرّض زجاج المباني للكسر؟ هذه لا تكون ثورة، لأن الثورة تحافظ على المصارف برمش العيون لأنها رمز استقرار وبحبوحة لبنان. أو هكذا كانت دعاية محطة بيار الضاهر على مدى عقود، وكان برنامج مارسيل غانم (قد يكون برنامجه من أفسد ما مرّ على شاشة لبنانية منذ أن دخل التلفزيون إلى المنازل) يروّج بصورة مفضوحة ليس فقط للفاسدين من الزعماء والأمراء والنوّاب، بل كان يقتطع من وقت البرنامج «الثمين» ليروّج للمصارف وأصحابها.

وفيما باتت المحطات الثلاث شبه متطابقة في التغطية، فقد باتت «إل. بي. سي» و«الجديد» توامين لا ينفصلان ولا يتوزّعان عن الترويج لبعضهما. وهما تضامنتا في موضوع وقف البث المجاني للمحطتين. والتوأمة بينهما شائعة، لكنها تعني المشاهد في الإجابة عن أسئلة لا بدّ منها: كيف ولماذا تغيّرت «الجديد» من خط الممانعة (شبه المبتذلة حتى) إلى خط معادٍ للممانعة؟ وما علاقة المصالح التجارية لصاحب المحطة بتغيير وجهة المحطة السياسية؟ وكيف انتقلت المحطة من محطة تكرّست للعداء للنظام السعودي (كان أوّل ظهور لي على «الجديد» بعد 11 أيلول / سبتمبر للحديث في موضوع المعارضة السعودية) إلى أن تحوّلت إلى مُروّجة لسياسات النظام السعودي الإقليمية؟ وكيف تتحوّل محطة اشتهرت بصرامة موقفها ضد التعامل مع إسرائيل والتطبيع معه، إلى محطة تبثّ شريطاً ترويجياً لخلف الحبتور، واحد من أصحر المُجاهرين العرب بالتطبيع مع إسرائيل ورفض «تهمة» العداء العربي لها؟ نحن نرى الكثير من الأفراد في الإعلام العربي ـ وخصوصاً اللبناني لأن الطلب أكبر بسبب وجود حزب الله الذي تعمد دول الخليج إلى محاربته ـ يتحوّلون من الممانعة إلى نقيضها (اعرف، هناك من سيذكر مثال غسان جواد لأنه تحوّل من 14 آذار إلى الممانعة، لكن هل لديكم مثال آخر؟ مقابل كل حالة مثل غسان جواد، هناك حالات بالمئات من أناس يتحوّلون من فريق الممانعة إلى نقيضها) وهؤلاء عندما يتحوّلون بين ليلة وضحاها، لا يعرضون لنا أسباب وظروف هذا التحوّل الدراماتيكي، كأن التحوّل من فكرة إلى نقيضها رحلة ذهنية عادية تتطلّبها القراءة المعمّقة. وليس هناك من يشرح لماذا تكون هذه الرحلة دوماً نحو الطرف الأكثر ثراءً ونفوذاً وقدرةً في العالم العربي، والأكبر تملّكاً في حصّة الإعلام.

> الإعلام الغربي لا يختلف عن إعلام الأنظمة ولا يرتقي عنه في درجة المهنية

بين الحاكم وبين أصحاب وسائل الإعلام. واحتجاجات المصرف، وهي الأكثر ثباتاً في الاحتجاجات، كانت تلقى أقل تغطية من المحطات اللبنانية ووسائل الإعلام العربية والغربية. هذه المحطات مسؤولة عن الكارثة المالية، ليس فقط لأن أصحابها هم من المتخمين بالثروات الذين أثروا على حساب الشعب اللبناني، واستفادوا من إجراءات غير قانونية، كان زعماء السلطة أو أصحاب المصارف والحاكم يقدّمونها لهم.

ومكاشفة أصحاب المحطات للناس عن ثرواتهم، تكون (خصوصاً في لحظة «الثورة» التي يتكلّمون عنها) من البديهيات، ولا سيما أن المحطات تطرح شعارات الشفافية والنزاهة والمحاسبة. كيف اغتنى هؤلاء؟ وما هي العلاقة التي جمعت بين المصارف وبين أصحاب المحطات وبين مخابرات الدولة النافذة في لبنان؟ (يوماً النظام السوري، ويوماً آخر النظام السعودي): ولقد تسرّبت وثائق عن طلب تمويل من محطة «إم. تي. في» إلى النظام الديمقراطي الثوري في الرياض. والفصل بين الكارثة الاقتصادية وبين دور رفيق الحريري كان من لازمات التغطية الإعلامية. هذه المحطات شاركت (بالمجّان؟) في الترويج الفظيع لأسطورة «الشهيد رفيق الحريري» بعد اغتياله، وهذا الترويج طمس الجرائم الاقتصادية والسياسية التي كان الحريري هذا مسؤولاً عنها، والتي استمرّت بعده، عبر ورثته البيولوجيّين والسياسيّين. إن الإصرار الشبه الديني على صفة «الشهيد» على أسوأ وأفسد زعيم مرّ في تاريخ الجمهورية اللبنانية، هو إعلان صريح عن رفض أصحاب المحطات العودة إلى جذور الأزمة، ورفض قاطع للمحاسبة عن الكارثة الاقتصادية والسياسية التي عصفت بلبنان. إعلان شهادة رفيق الحريري عند اغتياله كان حاجة إلى دفنه ودفن سجله. ومن مظاهر الظلم في لبنان أن رفيق الحريري (الذي تآمر على الفقراء وعلى ذوي الدخل المحدود، كما تآمر على مقاومة إسرائيل في لبنان) يحظى في نشرات الأخبار بالصفة نفسها التي استحقّها الأبطال الذين ماتوا دفاعاً عن لبنان في حروب إسرائيل ضدّه. وباتت صفة شهادة هؤلاء مثار نزاع على هذه المحطات نفسها. إن غياب رفيق الحريري عن الاحتجاجات، واختيار جبران باسيل هدفاً ـ على سوء الانعزالي والعنصري باسيل ـ كان أمراً مبيّتاً لتاريخ الكارثة، ابتداء من وصول ميشال عون إلى رئاسة الجمهورية وليس ابتداء بانقلاب الأوغاد (بطريقة انقلاب الاستخبارات الأميركيّة لإرجاع الشاه إلى السلطة في إيران في عام 1953) ضد حكومة عمر كرامي في عام 1992، والذي أدّى إلى إبعاد أنزه مسؤول لبناني منذ الاستقلال، أي سليم الحصّ، عن الحكم.

وهناك تنافس على السلطة في لبنان، والذي يعبّر عنه الإعلام، كما أساتذة الجامعات الخاصّة وقيادات الـ«إن. جي. أو». هناك رسوخ لزعامات طائفيّة، وهناك مطالبة من قبل أطراف في البورجوازية، للدخول إلى السلطة (أو العبور إلى «الدولة»، على قولهم. حتى السنيورة أراد أن يعبر إلى الدولة). وهناك أيضاً طموح شديد للحرفيّين المدينيّين الذين يريدون أن يصلوا إلى السلطة (مثّلتهم خير تمثيل «بيروت مدينتي»). هؤلاء لا يريدون قلب النظام، وإنما تحسينه وتجميله، كما أن كمال جنبلاط لم يكن يريد تغيير النظام اللبناني قبل الحرب، وكان يسخر من «اليسار المغامر» في أوّل الحرب، لأنه أراد هدم النظام. وأجندة الأثرياء الذين يريدون الدخول في النظام (مع تعديله)، وأجندة الحرفيّين المدينيّين، تلاقت في هذه الحملة العدائية التي تطغى على التغطية. ومنذ انطلاق المجتمع المدني على أنواعها، كانت القائدة ليس في الاحتجاج حول لبنان، لكن في التمتّع بالمنابر الإعلامية مجاناً، وفي النطق باسم الحراك كأنّ فريقها يعاني كما يعاني الفقراء في الشمال والجنوب والبقاع وبيروت. وهذه الفئة من المعارضة في داخل النظام لا تهدّد النظام، أو المصالح الاقتصادية لأصحاب المحطات. هي تفسّر لماذا «الجديد» (التي كانت ذات لبوس يساري) استضافت (وباستفاضة)، في ليال متواصلة، نديم قطيش وديما صادق وفارس خشّان ومروان خير الدين وحليمة قعقور (الأخيرة فقط لأن بولا يعقوبيان، الضيفة الدائمة على «الجديد»، رَكّتها) للحديث في شؤون «الثورة»، فيما شريل نحّاس تعرّض في مقابلة مع جورج صليبي، للمقاطعة بعد دقيقتين من الحديث، عندما قال له صليبي: «وقتنا محدود». أمّا كيف أن العاملين المتهنين في المشروع الإعلامي الدعائي لرفيق الحريري، على مدى سنوات، والذين روّجوا لأسطورته بعد وفاته أصبحوا دعاة «ثورة»، فهذا لا يشير إلّا إلى أن هناك من يقصد بـ«الثورة» شيئاً غير ما عناه ماركس ولينين وروبسبير. الثورة عند علي شعيب ورفاقه، أو عند شهيد أول حركة مقاومة لبنانية متكرّسة، رفيقي آياد نور الدين المدوّر، هي غير ما تعنيه لفريق رفيق الحريري الإعلامي الذي يريد «ثورة». هؤلاء لا يريدون أكثر من استبدال ميشال عون بغطاس خوري. هي بمثابة الثورة التي أعلنها رفيق الحريري، في عام 1998، ضد سليم الحص. ولتكريس فهم مائع ومعتدل لـ«الثورة»، تختار وسائل إعلام الأثرياء تلك التحرّكات والشعارات والهتافات التي لا تشكّل خطراً على سلطة الطبقة الحاكمة.

لهذا، فإن حفنة من الشيوعيّين اقتحموا وحدهم مداخل المصارف قبل أيّام، فيما لم يناصرهم رافعو ورافعات شعارات «ثاو، ثاو، ثورة. هاي ثورة مش حراك».

وقد بات نفوذ منظمات «المجتمع المدني» كبيراً في الإعلام، وخصوصاً أن السفارات ودول الغرب باتت ناشطة كثيراً في تمويل وإنشاء مواقع إخبارية عربية (وهي لا تستقطب إلا خرّيجي الإعلام الخليجي والحريري لسبب ما)، وحتى في تمويل بعض المدوّنين (كما كشفت رانيا خالق، في مقالة لم تحظ بأي اهتمام في الإعلام العربي، ربما بسبب مواقف الكاتبة من الصراع في سوريا). وجورج سوروس (الذي يبالغ اليمين العنصري الغربي المعادي للسامية في تقدير دوره في أوروبا)، بات حاضراً بقوّة في المشهد الإعلامي الإنترنتي العربي. لا يمكن إنكار ذلك. وهذا التواجد لمنظمات المجتمع المدني يضع عملها ضمن أطر مقبولة غربياً. هل هي الصدفة أنه ليست هناك منظمة مجتمع مدني واحدة تدعم مقاومة إسرائيل، أو تدعو إلى تحرير كل فلسطين؟ ماذا سيحل بتمويل أي واحدة من مؤسسات المجتمع المدني. من مؤسسة رينيه معوّض، العزيزة على قلب وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو ـ إلى منظمات ذات خطاب ليبرالي أو حتى يساري (مزيّف) لو دعت إلى مقاومة إسرائيل بغير الطنّاجر؟

ومواقع التواصل باتت جزءاً من شبكة الإعلام السائد: الكل يروّج لعناصر الشبكة الإعلامية: المغرّد الذي يتفق مع توجّهات المحطات الثلاث يصبح تلقائيّاً ناشطاً وضيفاً عزيزاً، والمراسل يصبح بدوره مغرّداً مُتابَعاً من الآلاف. ومنظمات المجتمع المدني تدور في هذا الفلك، بينما الكل يرسّخ صوابيّة الجزء، وهكذا دواليك. وتصبح الحقيقة حقيقة فقط لأنها تتكرّر في أكثر من منبر: هي تظهر في بيانات وتصاريح منظمة المجتمع المدني، وهي تظهر في نشرات الأخبار، وهي أيضاً ظاهرة في هاشتاغات. وكما أن حركة 14 آذار (وهي لا تختلف كثيراً عن الفئات النافذة إعلامياً في هذه المرحلة، وإن كان عداؤها ضد حزب الله يفوق عداء حركة 14 آذار في أوجها للحزب)، لم تكن تعتبر أن الجمهور المعارض لها لا يمتّ بصلة إلى الوطن: هم ظاهرة في هاشتاغات. وكما أن حركة 14 آذار اصطنعت «ثورة»، فهذا لا يشير إلّا إلى أن هناك من يقصد بـ«الثورة» شيئاً غير ما عناه ماركس ولينين وروبسبير. الثورة عند علي شعيب ورفاقه، أو عند شهيد أول حركة مقاومة لبنانية متكرّسة، رفيقي آياد نور الدين المدوّر، هي غير ما تعنيه لفريق رفيق الحريري الإعلامي الذي يريد «ثورة». هؤلاء لا يريدون أكثر من استبدال ميشال عون بغطاس خوري. هي بمثابة الثورة التي أعلنها رفيق الحريري، في عام 1998، ضد سليم الحص. ولتكريس فهم مائع ومعتدل لـ«الثورة»، تختار وسائل إعلام الأثرياء تلك التحرّكات والشعارات والهتافات التي لا تشكّل خطراً على سلطة الطبقة الحاكمة.

(مروان طحطح)

* كاتب عربي (حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

موسكو وواشنطن في سوريا

محمد سيد رصاص*

جرى الاستيقاظ الروسي أثناء الحرب الروسية ـ الجيورجية، في آب / أغسطس 2008، بعد سبعة عشر عاماً من السقوط السوفياتي. بعد ثلاثة أشهر من هذا التاريخ، انتُخب باراك أوباما رئيساً للولايات المتحدة الأميركية، وهو كان يحمل برنامجاً معاكساً لاتجاه التدخلية العسكرية الأميركية في فترة ما بعد الحرب الباردة، والذي بانت ملامحه في حرب كوسوفو عام 1999، وفي غزو أفغانستان عام 2001، وفي غزو العراق عام 2003. كان الاستيقاظ الروسي، عام 2008، في نطاق «الحديقة السوفياتية السابقة»، فيما كان الاستيقاظ الروسي عالمياً، عبر الفيتو الروسي في مجلس الأمن الدولي، يوم 4 تشرين الأول / أكتوبر 2011 ضد مشروع قرار يتعلق بالأزمة السورية مدعوم من واشنطن، وهو أول فيتو روسي مضاد للأميركيين في فترة ما بعد الحرب الباردة.

هنا، كان أوباما مع اتجاه الانزياح نحو الشرق الأقصى للتركيز على الخطر الصيني، ومع اتجاه أميركي جديد للانكفاء عن الشرق الأوسط: أولاً، بسبب تزايد قلة الاعتماد الأميركي على نفط الشرق الأوسط، وثانياً، بسبب الفشل الأميركي في أفغانستان والعراق. كان انفجار المنطقة، مع ما سُمي بـ«الربيع العربي» عام 2011، مفاجئاً لواشنطن، وعندما كان هناك تدخل عسكري غربي، فإن الأميركيين قد امتنعوا عن تكرار تجربتي أفغانستان والعراق، مكتفين بـ«القيادة من الخلف». وفق تعبير أوباما في العملية الأطلسية في ليبيا، والتي قادها الفرنسيون ضد نظام معمر القذافي. كذلك، لم يقوموا بمساندة ودفع تركيا إلى التدخل العسكري في سوريا في خريف 2011، رغم تحمّس الأتراك الذين شجّعوا على إنشاء «المجلس الوطني السوري»، الذي عُدّ نسخة سورية من المجلس الليبي الذي كان ستارة محلية لاستجلاب تدخل «الناتو». على الأرجح، فكّر أوباما في استغلال النار السورية، من أجل الضغط على طهران التي كانت منذ عام 2009 في مفاوضات سرية في مسقط مع واشنطن حول برنامجها النووي، في وقت قال فيه سيرغي لافروف لوفد «هيئة التنسيق» السورية المعارضة، أثناء زيارة إلى موسكو في نيسان / أبريل 2012، إن روسيا «تدافع عن موسكو في دمشق». ولا يشرح هذا التصريح الموقف الروسي الداعم للسلطة السورية فقط، ولكنّه تعبيرٌ صريح عن تخوّف روسي من أن تكون دمشق خامس العواصم التي تسقط بيد «الإخوان المسلمين»، المتحالفين مجدداً مع واشنطن، بعد تونس وطرابلس الغرب وصنعاء، والقاهرة، حيث كانت يومذاك ملامح فوز محمد مرسي بالرئاسة المصرية بعد شهرين بادية للعيان، وما يعنيه هذا من سقوط منطقة الشرق الأوسط بيد اتجاه الأصولية الإسلامية الجدّد تحالفه مع الأميركيين، كما كان الحال أيام الحرب الباردة، وبكل ما يمكن لهذا أن يترجم عند مسلمي الاتحاد الروسي ومسلمي الجمهوريات الإسلامية السوفياتية السابقة.

لم تلتزم واشنطن وموسكو حول الأزمة السورية، إلا منذ يوم 7 أيار / مايو 2013 عندما عُقد اتفاق جون كيري ـ سيرغي لافروف في موسكو، من أجل تفعيل «بيان جنيف» الداعي إلى حلّ الأزمة السورية، عبر حلّ توافقي بين السلطة والمعارضة، وذلك من خلال الدعوة إلى عقد «مؤتمر جنيف2». كان التغيّر الأميركي، من موقف داعم للمعارضة السورية بما فيها المسلّحة، إلى موقف يحوي توكيلاً للروس في الملف السوري، مع نزع الأخير من يدي أنقرة، ناتجاً عن تغيّر في الموقف الأميركي من الأصولية الإسلامية في فترة ما بعد مقتل السفير الأميركي في ليبيا في مدينة بنغازي على أيدي إسلاميين في يوم 11 أيلول / سبتمبر 2012. وقد ظهر ذلك بعد شهرين من «اتفاق موسكو» في دعم الأميركيين لانقلاب عبد الفتّاح السيسي على مرسي. تعزّز الاتفاق الأميركي ـ الروسي حول سوريا، من خلال اتفاق 14 أيلول / سبتمبر 2013 حول نزع السلاح الكيميائي السوري، الذي ترجم بعد أسبوعين في قرار مجلس الأمن 2118، والذي تضمّن في ملحقه النص الكامل لبيان جنيف مع دعوة القرار لتنفيذه، من خلال ممر مؤتمر «جنيف2»، الذي فشل بعد شهر من انعقاده بسبب أحداث أوكرانيا في شباط / فبراير 2014 وما قادت إليه التظاهرات من إطاحة برئيس أوكراني موالٍ لموسكو، ومن رد روسي بضم شبه جزيرة القرم ودعم موسكو لتمرّد الشرق الأوكراني.

مرة ثانية، كما قاد الموقف من الإسلاميين إلى تلاقٍ أميركي ـ روسي، في 7 أيار / مايو 2013، فإن تقدّم الفصائل المسلّحة الإسلامية السورية المعارضة في محافظة إدلب بين شهري آذار / مارس ونيسان / أبريل 2015، ثم امتدادها إلى سهل الغاب، ومن بعد ذلك قطع الطريق الدولي بين دمشق وحمص من قبل فصيل «جيش الإسلام»، في منتصف أيلول / سبتمبر 2015، قد دفع أوباما وبوتين للتلاقي سورياً بعد جفائهما أوكرانياً. وقد ظهر ذلك في تغطية واشنطن للدخول العسكري الروسي إلى سوريا في 30 أيلول / سبتمبر 2015، وفي تدريع الأمر بتوافق دولي ظهر في لقائي فيينا، ثم في القرار الدولي 2254 الصادر في 18 كانون أول / ديسمبر 2015، والذي شكل بعد أربعين يوماً جدول أعمال مؤتمر «جنيف3» لحلّ الأزمة السورية، مع هدنة في الأعمال القتالية رعتها واشنطن وموسكو في مجلس الأمن.

في آذار / مارس، خرقت «جبهة النصرة» ـ التي كانت مسيطرة على «جيش الفتح»، الذي تشكل عام 2015 مع فصائل مسلّحة أخرى. الهدنة في منطقة جبل عزان جنوب حلب، ثم أتبع ذلك في 18 نيسان / أبريل 2016، رياض حجاب بتعليق المفاوضات في «جنيف3» من جانب وفد المعارضة السورية. على الأرجح، كان هناك دعم إقليمي من أنقرة، المتخاصمة مع موسكو وواشنطن. وربما من الرياض التي عارضت اتفاق 14 تموز / يوليو 2015 الذي عقده أوباما مع طهران بشأن برنامجها النووي. لخطوة حجاب التي خربطت مخططاً أميركياً. روسياً كان يُقال، آنذاك، إنه كان جاهزاً لحل الأزمة السورية، كما يُقال إن هجوم «جبهة فتح الشام» في 30 تموز / يوليو 2016 على منطقة الراموسة في جنوب حلب، بعد يومين من تغيير اسم «جبهة النصرة». وهو ما تلقّت عليه بياناً تأييداً من رياض حجاب ـ كان هدفه قلب الطاولة على خطة أميركية ـ روسية لاستئناف «جنيف 3» في شهر آب / أغسطس 2016 وفرض حلّ أميركي ـ روسي للأزمة السورية على طراز «اتفاق دايتون» عام 1995 لحرب البوسنة، والذي فرضته واشنطن على كل أطراف تلك الحرب. كان مؤكداً الدعم التركي للجولاني، وعلى الأرجح كان رجب طيب أردوغان. المتأكّد من الدعم الأميركي لمحاولة الانقلاب العسكرية في أنقرة في ليلة 15 تموز / يوليو 2016 وقبلها منذ أيلول / سبتمبر 2014 الدعم الأميركي للفرع السوري لحزب عبدالله أوجلان ـ يُفكر في تحسين أوراقه قبل لقائه مع فلاديمير بوتين في موسكو، في 9 آب / أغسطس 2016، الذي أرسى تحالفاً تركياً ـ روسياً في سوريا تجسّد في تخلّي أردوغان عن دعم المعارضة السورية المسلّحة في حلب ـ كانون الأول / ديسمبر 2016 ـ وفي الغوطة ـ نيسان / أبريل 2018 ـ وفي حوران ـ تموز / يوليو 2018 ـ مقابل غضّ نظر الروس عن سيطرة الأتراك على خط جرابلس ـ إعزاز (آب / أغسطس 2016)، وعفرين (كانون الثاني / يناير 2018)، وخط تل أبيض ـ رأس العين (تشرين الأول / أكتوبر 2019).

هنا، ساهم التلاقي بين بوتين وأردوغان في أرجحية روسية سورياً أمام الأميركان، وجعل موسكو أقوى من واشنطن، بل أقوى لاعب في الأزمة السورية. حاول أوباما خريطة اتفاق 9 آب / أغسطس، من خلال اتفاق 9 أيلول / سبتمبر بين كيري ولافروف، للتعاون العسكري ـ الأمني، وهو اتفاق لم يرضَ عنه البنتاغون الذي قضى عليه، في الأسبوع التالي من خلال «الغارة الأميركية الخطأ» على مواقع الجيش السوري بالقرب من دير الزور. هذه الأرجحية الروسية في سوريا، هي التي دفعت إدارة دونالد ترامب، في عامي 2017 و2018، إلى بناء قواعد عسكرية في شرق الفرات السوري، وإلى السيطرة على تلك المنطقة التي تضمّ غالبية النفط والغاز والقمح والقطن في سوريا، وإلى دعم مكثّف لفصيل عسكري هو «قوات سوريا الديمقراطية»، التي يسيطر عليها الأكراد مع جناح سياسي له، كأدوات محلية للأميركيين. وعندما حاول ترامب مرّتين، سحب القوات العسكرية الأميركية من سوريا، في كانون الأول / ديسمبر 2018 وفي تشرين الأول / أكتوبر 2019، منعه البنتاغون من ذلك. يلفت النظر هنا «قانون سيزر»، الذي طُرح كمشروع أمام الكونغرس في الشهر الأول من عام 2019، قبل أن يصادق عليه مجلسا الكونغرس ثم الرئيس الأميركي، في شهر كانون الأول / ديسمبر، والذي يزيد لواشنطن ورقة كبرى للضغط في الأزمة السورية، تُضاف إلى الوجود العسكري الذي يشمل شرق الفرات ومنطقة التنف عند الحدود الثلاثية مع الأردن والعراق، هي الورقة الاقتصادية. وعلى الأرجح، فإن هذه الورقة ليست للضغط على السلطة السورية فقط، بل هي أساساً ورقة ضغط من واشنطن على موسكو في سوريا، للتأكيد بأن مفتاح حلّ الأزمة السورية في البيت الأبيض، وليس في الكرملين، وأن ذلك الحلّ لا يستطيعه الروس، قبل تنفيذ المطالب الأميركية منهم، والتي تمتد من طهران إلى كييف.

*كاتب سوري

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتربي، شربل كريم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للتواصل: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 01 /666314 ـ 15، 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني: www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

الملاعب خسرت روادها وتضررت بشكل كبير جزاء التوقف (عدنان الحاج علي)

الكرة اللبنانية

توقّف البطولات الرياضية [1]

الكلّ خاسر في ميدان كرة القدم

لا يمكن إحصاء حجم الخسائر التي لحقت بكرة القدم اللبنانية جرّاء توقف دوري الدرجة الاولى وغيره من الدرجات منذ تشرين الاول الماضي. الكلّ لحقت به شظايا الأزمة التي لم تنته. والبطولة بشكل عام لن تكون على صورة تلك التي سبقتها وربما تحتاج الى وقتٍ طويل للعودة الى شيء من طبيعتها بغضّ النظر عن قرار استئناف الموسم المجمّد من عدمه. على اي حال فإن اللجنة التنفيذية لم تتخذ قرارها بعد حول كيفية استكمال الدوري. واجتماع يوم امس الجمعة لم يُعقد بسبب التطورات الاخيرة الحاصلة

شربل كريّم

تتفرّع أضرار «المصاب الأليم» عند الحديث عن كرة القدم اللبنانية، إذ أن الكل لحقته خسارة جزاء توقّف موسم كان واعداً بحسب المراقبين والمتابعين. موسمٌ انتظر الكل أن يأخذ اللعبة إلى مكان آخر وخصوصاً بعد فوز العهد بلقب كأس الاتحاد الآسيوي، لكن أيّاً من التوقعات الإيجابية لا يمكن انتظارها بعد الآن، فما حصل قد حصل ولن يكون أي من القرارات أو الخطوات كفيلاً بتخفيف نسبة الخسائر التي طاولت جميع العاملين والمرتبطين بالكرة اللبنانية.

البداية من اللعبة التي تلقّت صفعة قوية، إذ أنه بعد مرحلة التأهل إلى كأس آسيا 2019 وبعد إحراز أول لقب خارجي، وبعد ارتفاع نسبة الاهتمام بالدوري المحلي، كان التوقّف القسري بعد ثلاث مراحل فقط على البداية، تخللتها مباريات مثيرة، ووعود بمنافسة حامية في مقدّمة ووسط وقاع الترتيب، وأيضاً بوقفة عالمية لافتة مع وصول رئيس الاتحاد الدولي جياني إنفانتينو على رأس وفد من النجوم العالميين لإطلاق مشروع كبير من على الأراضي اللبنانية.

ابتعاد المعلنين

كل هذا جعل محبي الرياضة يترقّبون الجديد الذي يمكن أن تقدّمه كرة القدم اللبنانية إليهم، وهي التي بدت أنها تسير نحو مرحلة أفضل، ووسط مساعٍ كثيرة من قبل الجميع على رفع مستواها تنظيمياً، فنياً وإدارياً. لذا لا يخفى أن انطلاقة جديدة وباي شكل من الأشكال هذا الموسم أو الموسم المقبل، ستدفع القيّمين إلى إعادة رسم الصورة من النقطة الصفر والدخول في مرحلة ترميم لا بل إعادة بناء بفعل تراكم الخسائر التي وضعت اتحاد اللعبة في موقفٍ صعب لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وذلك بعدما اجتهد لمحاولة مواكبة التطوّر السريع الذي تعيشه كرة القدم في قارة آسيا ومطالبة اتحادها القاري كل الاتحادات الوطنية بأخذ الطريق نحو الاحتراف المطلوب.

وفي موازاة وضع الاتحاد، وجدت الأندية نفسها في وضعٍ أصعب ومثقل بالخسائر المتفرّقة، وهي مسألة أرهقت غالبيتها أكثر مما استنزفتهم خلال سعيهم لتأمين ميزانياتهم وللتعاقد مع اللاعبين الذين رأت أنها بحاجةٍ إليهم.

> لا يمكن الحديث عن اي إيجابيات منتظرة في كرة القدم بعد الآن

بعض هذه الأندية كان قد صرف الكثير من الوقت والتعب لإقناع معلنين «بتزيين» قميصه ودعمه مالياً خلال الموسم. وهذه النقطة دونها صعوبات كما يعلم الجميع، إذ أن سوق الإعلانات كان قد ابتعد عن كرة القدم لسنوات عدة، وباتت عملية رعاية الفرق ترتبط بمعارف هذا الرئيس أو ذاك، علماً أن المولجين بإعلانات الملاعب أيضاً تلقوا ضربةً على هذا الصعيد، إذ أن اللوحات الإعلانية كانت قد عادت إلى ملاعب الدوري للمرة الأولى منذ حوالى الثلاثة أعوام في عملية، كان السعي خلالها لوضع حجر أساس نحو مرحلة تحمل معلنين كثراً إلى الملاعب، وبالتالي دخول اللعبة في مسارٍ مالي أفضل بكثير من الوضع الحالي.

خسارة الأجانب

بالحديث عن الأجانب فإن الخسارة مشتركة هنا بين هؤلاء والأندية التي ارتبطوا بها. ففي المقام الأول صرفت هذه الأندية الأموال لإبرام الاتفاقات معهم من دون الاستفادة من خدماتهم. كما أن بعضها صرف مبالغ غير بسيطة لتجربة عددٍ من الأجانب قبل انطلاق الموسم، وقبل أن يتخذ قراراً حول اللاعبين الثلاثة الذين عزّز بهم صفوفه. أضف أن عملية الاستغناء عن الأجانب لم تكن بسلاسة كما يعتقد البعض، إذ في حالاتٍ عدة اضطر النادي لدفع قسمٍ من المستحقات المتوجّبة للاعبية الأجانب من أجل فكّ الارتباط معهم، وذلك ضمن تسويات لا مفرّ منها لكي يبرّئ ذمته ويتفادى أي عواقب قانونية، ما جعل هؤلاء اللاعبين يتحررون من عقودهم أو ينضمون إلى أندية أخرى خارج لبنان من دون أن يكون هناك أي عائدات مالية لأنديتهم جراء هذه الانتقالات.

أما في المقام الثاني، فإن ابتعاد اللاعبين الأجانب عن المباريات لا شك في أنه أضرّ بمستوياتهم الفنية، وبالتالي هم افتقدوا المسرح الذي كان بإمكانهم تقديم أنفسهم عليه منه سيجعلهم يعيدون حساباتهم ويسخّرون أوقاتهم بحثاً عن حياةٍ أفضل عبر تأمين مستلزماتهم الضرورية بدلاً من صرف المال على التنقلات بين المناطق والملاعب لمتابعة فرقهم المفضلة.

إذاً هي حلقة واحدة يدور فيها الكل بشكلٍ مرهق، فالضرر حصل سلفاً والخروج من الأزمة لا يرتبط فقط بقرار اتحادي لمواصلة اللعب أو بقرار من هذا النادي أو ذاك للإبقاء على أجانبه واحترام اتفاقاته مع لاعبيه، فالحلول الآنية لن تجدي نفعاً بل إن تضافر الجهود وإبقاء الإيمان بإمكانية النهوض هما العناوين الأساسية للتخلّص من المعضلة، فالاستحقاقات المهمة قريبة دائماً وأي خطوات إضافية إلى الوراء تعني القضاء على ما تمّ العمل عليه منذ وقتٍ طويل للوصول إلى الأهداف المنشودة.

في أحسن حالاتها، فلا يمكن السؤال اليوم عن الوضع الذي قد يبدو عليه ملعب بيروت البلدي أو ملعب صيدا، وخصوصاً أن شحّ الأموال في البلديات ترك تأثيره السلبي على كماليات إنمائية وخدماتية عدة في المناطق، ما يجعل عملية صيانة الملاعب والاهتمام بها أمراً شبه مستحيل في الوقت الحالي، وخصوصاً أنه بالنسبة إلى بعض القيّمين ليس هناك أي داعٍ للقيام بأي خطوات من هذا النوع في ظل توقّف النشاط.

أما رواد الملاعب أي المشجعون الذين وجدوا غالباً في المدرجات متنفساً للهروب من المتاعب اليومية التي تواجههم، فإنه بلا شك قد تتقلّص أعدادهم مع عودة اللعبة إلى طبيعتها والسماح للجمهور بدخول الملاعب، فالوضع الاقتصادي الذي يعانون منه سيجعلهم يعيدون حساباتهم ويسخّرون أوقاتهم بحثاً عن حياةٍ أفضل عبر تأمين مستلزماتهم الضرورية بدلاً من صرف المال على التنقلات بين المناطق والملاعب لمتابعة فرقهم المفضلة.

إذاً هي حلقة واحدة يدور فيها الكل بشكلٍ مرهق، فالضرر حصل سلفاً والخروج من الأزمة لا يرتبط فقط بقرار اتحادي لمواصلة اللعب أو بقرار من هذا النادي أو ذاك للإبقاء على أجانبه واحترام اتفاقاته مع لاعبيه، فالحلول الآنية لن تجدي نفعاً بل إن تضافر الجهود وإبقاء الإيمان بإمكانية النهوض هما العناوين الأساسية للتخلّص من المعضلة، فالاستحقاقات المهمة قريبة دائماً وأي خطوات إضافية إلى الوراء تعني القضاء على ما تمّ العمل عليه منذ وقتٍ طويل للوصول إلى الأهداف المنشودة.

كأس إنكلترا

قمّة بين كلوب وأنشيلوتي واختبار صعب لسولشاير

سيكون دربي مرسيسايد بين ليفربول متصدر ترتيب الدوري وجاره إيفرتون، والمواجهة بين ولفرهامبتون ومانشستر يونايتد، الأبرز في الدور الثالث من مسابقة كأس انكلترا لكرة القدم الذي ينطلق اليوم السبت.

ويدخل ليفربول لقاء غد الأحد على ملعبه «انفيلد» (الساعة 18:00 بتوقيت بيروت) مرشحاً لتخطي منافسه الذي أظهر تطوراً في المستوى منذ أن تولى الأشراف عليه المدرب الإيطالي المحنك كارلو أنشيلوتي خلفاً للبرتغالي ماركو سيلفا، بعد فترة انتقالية وجيزة تولاها مهاجم الفريق السابق الاسكتلندي دنكان فيرغوسون الذي بات حالياً مساعداً للمدرب الجديد.

ومنذ بدء مهام المدرب السابق لنابولي في الإدارة الفنية، تغلب إيفرتون على بيرنلي (1-صفر) ونيوكاسل (2-1) قبل أن يخسر بصعوبة بنتيجة (1-2) أمام مضيفه مانشستر سيتي بطل الدوري وحامل لقب مسابقة الكأس. ويقف التاريخ الى جانب ليفربول، إذ إن ايفرتون لم يذق طعم الفوز في «انفيلد» سوى مرة واحدة في الأعوام الـ19 الأخيرة، وكانت في أيلول/سبتمبر 1999 (1-صفر)، كما لم يحقق سوى ستة انتصارات في المواجهات الـ52 الأخيرة مع ليفربول (على أرضه وخارجها). كذلك لم يخسر ليفربول في الدوري المحلي أي مباراة على ملعبه منذ نيسان/أبريل 2017 في 51 لقاءً.

ويختبر الفريق الأحمر فترة رائعة، إذ توّج في الأشهر الماضية بلقب دوري أبطال أوروبا والكأس السوبر وكأس العالم للأندية، وأتم الخميس عاماً كاملاً من دون أن يُمنى بأي خسارة في الدوري المحلي حيث يتابع زحفه بخطى ثابتة نحو التتويج باللقب الغائب عن خزائنه منذ عام 1990.

وتفوّق ليفربول مساء الخميس على ضيفه شيفيلد يونايتد بهدفين نظيفين في المرحلة الثانية والعشرين من الدوري، وأعاد الفارق الى 13 نقطة عن أقرب مطارديه ليستر سيتي صاحب المركز الثاني، علماً بأن فريق ملعب أنفيلد لديه مباراة مؤجلة. ومنذ خسارته في الثالث من كانون الثاني/يناير 2019 امام مانشستر سيتي (1-2)، خاض ليفربول 37 مباراة فاز في 32 منها وجمع 101 نقطة وسجل 89 هدفاً. وتلقّى الفريق الأحمر خسارتين محليّتين وحيدتين، وذلك أمام ولفرهامبتون في كأس انكلترا في كانون الثاني/يناير الماضي، وأمام استون فيلا في كأس الرابطة الشهر الماضي عندما أشرك تشكيلة رديفة بالكامل، لأن موعد المباراة صادف عشية خوضه مباراته ضد مونتيري المكسيكي (2-1) في نصف نهائي كأس العالم للأندية في قطر.

وقال مدرب ليفربول الألماني يورغن كلوب بعد الفوز التاسع عشر في 20 مباراة في الدوري هذا الموسم، «أنا سعيد جداً وفخور جداً باللاعبين. الطريقة التي سيطرنا بها على شيفيلد هذا المساء كانت استثنائية». ورداً على سؤال عمّا إذا كان سيجري تبديلات لإراحة عدد من الأساسيين في ظل الضغط الكثيف للمباريات، قال «لن أكشف التشكيلة الأساسية لكارلو أنشيلوتي، لكنني ساقوم بما أعتقد أنه الأمر المناسب». وتابع «بعض الأمور يمكنني أن أقرر بشأنها بنفسي، وأمور أخرى سيبلغني بها الجهاز الطبي (في حال معاناة لاعبين من الإجهاد أو الإصابات)»، مشدّداً على أن التشكيلة «ستكون الأفضل بالنسبة إلينا في هذه اللحظة».

■ **السبت 4 كانون الثاني**
- فالنسيا x إيبار 14:00
- خيتافي x ريال مدريد 17:00
- أمدريد x ليفانتي 19:30
- إسبانيول x برشلونة 22:00

- وولفز x مان يونايتد 19:30
- ليستر سيتي x ويغان 19:30
- مان سيتي x ب فالي 19:30

■ **الاحد 5 كانون الثاني**
- بريشيا x لاتسيو 13:30
- روما x تورينو 21:45

- مدلزبروه x توتنهام 16:00
- تشيلسي x نوتنغهام ف. 16:00
- ليفربول x إيفرتون 18:00

- ريال سوسيداد x فياريال 15:00

- لينا مونتيري x باريس 21:55

اختبار صعب ليونايتد

لن تكون مهمة مانشستر يونايتد سهلة عندما يحل ضيفاً على ولفرهامبتون القوي اليوم (19:30 بتوقيت بيروت). والتقى الفريقان على ملعب «مولينو» ذهاباً في الدوري المحلي في آب/أغسطس الماضي، وانتهت المباراة بتعادلهما (1-1). وتعتبر مباراة ثأرية للشياطين الحمر بعد خروجهم في ربع النهائي من هذه المسابقة على يد ولفرهامبتون الموسم الماضي.

وغالباً ما يقدم ولفرهامبتون مباريات قوية أمام الفرق الكبيرة. وأبرز دليل على ذلك قلب تخلفه أمام مانشستر سيتي على ملعبه (صفر-2) الى فوز (3-2) في 27 كانون الأول/ديسمبر الماضي، وخسارته بصعوبة أمام ليفربول (صفر-1) في مباراة أدت تقنية المساعدة بالفيديو دوراً كبيراً في تحديد نتيجتها.

> لم يفز إيفرتون على ملعب انفيلد سوى مرة واحدة في 19 عاماً

ويعاني مانشستر يونايتد الذي خسر بثنائية نظيفة أمام مضيفه آرسنال في المرحلة الأخيرة من الدوري من غياب لاعبين مؤثرين في خط الوسط، هما الاسكتلندي سكوت ماكتوميني بسبب إصابة في الركبة ستبعده لفترة طويلة عن الملاعب، في حين سيخضع الفرنسي بول بوغبا لعملية جراحية في الكاحل ولن يعود الى الملاعب قبل قرابة شهر، ما قد يدفع مانشستر الى دخول سوق الانتقالات الشتوية خلال الشهر الحالي لتعزيز صفوفه.

ويخوض مانشستر سيتي حامل اللقب مباراة يتوقع أن تكون سهلة نسبياً على ملعبه ضد بورتفايل من الدرجة الثالثة. (اليوم 19:30)

وفي أبرز المباريات الأخرى، يلتقي آرسنال الذي حقق أول فوز بإشراف مدربه الجديد الاسباني ميكل أرتيتا على حساب مانشستر يونايتد (2-صفر) مع ليدز متصدر ترتيب دوري الدرجة الأولى (الإثنين الساعة 22:00)، في حين يستقبل جاره اللندني تشلسي نوتنغهام فورست من الدرجة الأولى أيضاً (الأحد الساعة 16:00).

تفوّق ليفربول أخيرا على شيفيلد يونايتد بهدفين نظيفين (أ ف ب)

كالشيو

إبراهيموفيتش يَعد ميلان بالكثير!

أكد النجم السويدي زلاتان ابراهيموفيتش العائد الى صفوف ميلان، أنه لن يكون مجرد تميمة لفريق كرة القدم الإيطالي، بل يتطلع الى تقديم «أخر جرعة من الأدرينالين» متوافرة لديه لمساعدته على الخروج من تعثره الحالي. وقال زلاتان لدى تقديمه رسمياً في مقر النادي «لست هنا لأكون تميمة من أجل الرقص لمشجعي الفريق الى جانب الشيطان (تعويذة ميلان)».

وأضاف المهاجم المخضرم «أتطلع الى آخر جرعة من الأدرينالين قد تكون متبقية لدي. في سني لا يمكن التطلع إلا الى التحدي... عندما تبلغ الثامنة والثلاثين، وعلى الرغم من ذلك، يقوم ميلان بالتعاقد معك، فهذا أمر لا يحصل دائماً»، متابعاً «المجيء الى هنا يعني أنني لا أزال أستطيع تقديم شيء ما. أنا جاهز وأمل اللعب مباشرة».

وعاد ابراهيموفيتش الى صفوف ميلان لفترة ستة أشهر قابلة للتجديد سنة واحدة، في صفقة قدرت قيمتها بـ 3,5 ملايين يورو. وكان العملاق السويدي قد وصل الخميس الى المدينة الإيطالية، عائداً الى صفوف الفريق الذي دافع عن ألوانه بين العامين 2010 و2012.

وفي الموسمين اللذين أمضاهما سابقاً مع الفريق، خاض ابراهيموفيتش 61 مباراة سجل خلالها 42 هدفاً، وأسهم في إحراز ميلان آخر لقب له في الدوري المحلي، وذلك في موسم 2010-2011 حين كان معاراً من برشلونة الإسباني، قبل أن ينضم رسمياً في الموسم التالي.

وبات السويدي لاعباً حراً منذ مغادرته لوس انجليس غالاكسي الأميركي في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي، بعد أن انضم الى صفوفه في آذار/مارس 2018 وسجل معه 52 هدفاً في 56 مباراة.

ويأتي التعاقد مع ابراهيموفيتش في إطار سعي إدارة نادي ميلان للتجديد مع الأدرينالين الذي يضخه في الفريق لوقف النتائج السلبية للفريق المتوج بـ18 لقباً في الدوري المحلي وسبعة ألقاب في دوري أبطال أوروبا.

سيرتدي ابراهيموفيتش القميص الرقم 21 (أ ف ب)

ويحتل الفريق المركز الحادي عشر في ترتيب «سيري أ» بعد 17 مرحلة، حقق خلالها ستة انتصارات وثلاثة تعادلات وثماني هزائم أقساها في المرحلة الأخيرة، وذلك أمام أتالانتا بخماسية نظيفة. وكانت هذه الخسارة الأسوأ للفريق في الدوري المحلي منذ 21 عاماً.

وأعرب ابراهيموفيتش الذي سيرتدي القميص الرقم 21، عن أمله في أن يتمكن فريقه من تحسين النتائج المخيبة هذا الموسم. وقال «يتعين علينا تحسين الأمور على أرضية الملعب ولهذا أنا هنا».

من جهته، حذّر مدير كرة القدم في النادي اللومباردي الكرواتي زفونومير بوبان من أنه لن يكون بمقدور ابراهيموفيتش بمفرده أن ينقذ ميلان. وأوضح «لا يمكن أن ننسى الخسارة غير المقبولة والمخيفة أمام أتالانتا، لكن لا يمكن أن نختبئ خلف كتفي زلاتان ابراهيموفيتش»، مضيفاً «نأمل أن تتغير الأمور خلال الموسم، ونحن متفائلون بالتأثير الذي سيجلبه زلاتان للفريق، لكننا في حاجة الى النتائج».

بريميرليغ

إيرلنغ هالاند يرفض «الشياطين»

أولد ترافورد لم يعد «مسرح الأحلام»

حسن رمضان

منذ رحيل المدرب الكبير الأسكتلندي «السير» الكس فيرغسون، حلّت «لعنة» فوق ملعب «الأولد ترافورد» في مدينة مانشستر. لعنة لا تزال مستمرة حتى هذا اليوم. 4 مدربين من بينهم اسمان من العيار الثقيل، تناوبوا على تدريب مانشستر يونايتد. الأسكتلندي دافيد مويس، الهولندي لويس فان خال، البرتغالي جوزيه مورينيو وأخيراً المدرب النروجي أولي غونر سولشاير. 4 مدربين يتشاركون الكلمة عينها: «العجز». لم يستطع أيّ من المدربين الذين تم ذكرهم إخراج مانشستر يونايتد من أزمته المستمرة منذ غياب فيرغسون عن النادي.

ما يمكن تأكيده أيضاً، أن هذه الأزمة لم تشمل المدربين فقط، بل اللاعبين الذين كانوا من بين الأفضل في العالم في مراكزهم، والذين شكّل انتقالهم إلى نادي «الشياطين الحمر» نقطة مفصلية في مسيرتهم الكروية. بداية يمكن الحديث عن نجم ريال مدريد السابق ولاعب باريس سان جيرمان الحالي الأرجنتيني أنخيل دي ماريا. الأخير، كان من بين أفضل لاعبي العالم عندما كان لا يزال لاعباً في صفوف النادي الملكي ريال مدريد، وموسمه الأخير رفقة المدرب كارلو أنشيلوتي، وتحديداً موسم النجمة العاشرة لدوري أبطال أوروبا، حيث إنه يمثّل أفضل مواسمه الفردية على الإطلاق. كان أفضل لاعب في المباراة النهائية أمام أتلتيكو مدريد في عام 2014. كل هذه الصفات تبخّرت مع انتقاله إلى مانشستر يونايتد، النادي الذي لم يجد أنخيل دي ماريا نفسه فيه. كان تائهاً في شمال بريطانيا، لم يعتد على هذا النوع من الأندية، انعدام الاستقرار وضعف التشكيلة وفقا في وجه تألّق النجم الأرجنتيني بين أسوار ملعب «أولد ترافورد». في الموسم عينه، وتحديداً خلال موسم 2014/2015، انتقل إلى اليونايتد أحد أبرز المهاجمين في العالم وقتها، الكولومبي راداميل فالكاو، ولكنه لاقى المصير عينه الذي واجهه دي ماريا. فشل في الأداء وفقدان الثقة في النفس، ليصبح كل من دي ماريا وفالكاو لاعبين مختلفين تماماً عمّا كانا عليه في السابق.

لم تقتصر القصّة على الثنائي اللاتيني، إذ أن لاعباً كالفرنسي بول بوغبا نجم يوفنتوس الإيطالي السابق، قد لاقى النتيجة عينها هو الآخر جرّاء الانتقال إلى مانشستر يونايتد. بوغبا، كان من بين أفضل لاعبي خط الوسط في العالم إن لم يكن أفضلهم عندما كان في مدينة تورينو الإيطالية. ومنذ انتقاله إلى مانشستر يونايتد بصفقة قياسية وصلت إلى 100 مليون يورو، تغيّر بوغبا كثيراً، بل إنه لم يعد اللاعب عينه الذي كان الجميع يستمتع بمشاهدته في يوفنتوس. لم تنته القصة بعد. أحد أفضل لاعبي الدوري الإنكليزي، وأحد أفضل اللاعبين الذين تعاقدت معهم إدارة النادي الكاتالوني برشلونة في السنوات العشر الماضية، لاعب أرسنال وبرشلونة السابق، التشيلياني الكسيس سانشيز، الذي انتقل الموسم الماضي إلى نادي «الشياطين الحمر»، لكنه لم يعد الكسيس الذي تعرفه جماهير أرسنال وبرشلونة، بل تحوّل إلى شبح لا يعرف كيف يسجّل الأهداف ولا كيف يمرّر عن اللاعبين. سانشيز تغيّر كثيراً، وفقد حسّه التهديفي.

أمثلة كثيرة عن لاعبين فقدوا قيمتهم الفنية، فما السبب؟ ما سر الفشل الذي رافق اللاعبين في مانشستر يونايتد؟

> **خسر العديد من اللاعبين تميّزهم الفني منذ انتقالهم الى مانشستر يونايتد**

هذا السؤال طرحه وكيل أعمال اللاعبين الإيطالي، الهولندي الشهير مينو رايولا قبل أيّام وأجاب عنه.

رايولا وصف نادي مانشستر يونايتد بـ«مقبرة اللاعبين»، حيث قال: «إذا ذهب كل من مارادونا وبيليه إلى هذا اليونايتد فسوف يتم تدميرهما». تصريح أثار الكثير من الجدل، وذلك على خلفية أخبار انتقال المهاجم النروجي الشاب إيرلينغ هالاند إلى النادي الإنكليزي. هالاند كغيره من اللاعبين، مينو رايولا وكيل أعماله الخاص، وانتقاله إلى دورتموند خير دليل على تصريحات رايولا المتعلقة بالـ«مان يونايتد». وتعليقاً عمّا يمر به النجم الفرنسي بول بوغبا أضاف رايولا «بوغبا يحتاج إلى فريق يعرف قيمته تماماً كما كان في يوفنتوس». قبل أيام قليلة أيضاً، ذكرت تقارير صحافية إنكليزية أن مدرب اليونايتد النروجي سولشاير قد اتصل شخصياً بهالاند لإقناعه بالانضمام إلى فريقه، مستفيداً من كونه مواطنه وابن جلدته، حيث يُعتبر سولشاير من بين أبرز اللاعبين النروجيين الذين كانت لهم بصمتهم في الكرة الأوروبية، إلاّ أن النتيجة كانت انتقال النجم الشاب (19 عاماً) صاحب الـ28 هدفاً في 22 مباراة هذا الموسم مع فريقه السابق ريد بول سالزبورغ إلى دورتموند. اللاعب الشاب لم يستمع إلى سولشاير واختار هو طريقه.

هي قصّة حقيقية، وما أقدم عليه هالاند رغم المبالغ الضخمة التي عُرضت عليه من قبل النادي الإنكليزي، هو دليل واضح على أن اللاعبين يخافون الانتقال إلى اليونايتد، وذلك بسبب تكرار «سيناريو» التجارب الفاشلة للاعبين سابقين في السنوات الماضية، إضافة إلى كون فريق ألماني كبوروسيا دورتموند من بين أهم الفرق «صقلاً للمواهب» في أوروبا حالياً. هالاند فعل الصواب، ومن المتوقّع أن يصبح نجماً جديداً في سماء «البوندسليغا»، بينما من المتوقّع أيضاً أن يستمر مسلسل الانهيار في مانشستر يونايتد.

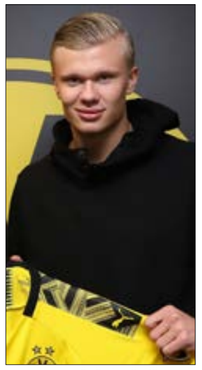
رفض هالاند العرض المالي الكبير من اليونايتد (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 3346

أفقيا

1- فنان لبناني راحل من روّاد النحت درس الفنّ في روما – 2- من أفلام الأخوين رحباني السينمائية – برد – 3- جواب – نراه على شواطىء البحار – جانب النهر أو ساحل البحر – 4- فلوس ودراهم – رجع وعطف – 5- مشروب ساخن من المنبهات – عاصمة آسيوية – 6- بئر عميقة – من مشاهير المغنّين في العصر العبّاسي – جنس حشرات تمتص دم الإنسان – 7- وضع تاريخاً للحدث – شاب طرّ شاربه ولم تنبت لحيته – 8- لاعب كرة قدم إسباني شهير في فريق ريال مدريد – حمام برّي – 9- أجعل الغرفة نظيفة ومنسّقة – بحر – 10- أغنية معروفة للفنان اللبناني خالد الهبر

عمودياً

1- ممثلة مصرية مشهورة – رحى اليد يُطحن بها القمح المسلوق مصنوعة من حجر – 2- جمع من الشخصيات يقصدون بلد ما – أكبر أحياء القاهرة سكاناً – 3- ما يكتمه الإنسان في نفسه – إسم موصول – ما تخفي به المرأة رأسها – 4- إسم شهر شباط في بعض البلدان العربية – تقوى وإيمان – 5- من ماتت زوجته – من الأطباق الإيطالية – 6- أحرف متشابهة – ضد بخّل – للإستدراك – 7- قشّر وكشط – جزيرة إيطالية سياحية شواطئها خلجان وكهوف – 8- سكّ وطبع العملة – قبيح – 9- ضد يجلس – تهيّأ للحملة في الحرب – طلب القائد من الجنود تنفيذ الأوامر – 10- لعبة رياضية عالمية شهيرة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- شمّام – كزم – 2- الموصل – جمل – 3- ناسا – اوسلو – 4- زمّ – دو – رماد – 5- بحس – عود – حد – 6- رقد – ادمي – 7- يسقم – فلس – 8- زفت – جوخ – هو – 9- يل – الجاموس – 10- هيلا سيلاسي

عمودياً

1- شانزيليزيه – 2- ملامح – سفلي – 3- امس – سرقت – 4- مواد – قم – ١١ – 5- وعد – جلس – 6- كلا – فوجي – 7- ورد الخال – 8- مجسّم – دسّ – ما – 9- ملاحم – هوس – 10- كلود ديبوسي

3346 sudoku

		9	8			5	
8		5	2		3	7	
		1	6			3	
4							1
2		7	1		6	3	9
6							5
	8				9	5	
	3		4		5	8	
	7				8	6	4

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3345

2	7	4	1	9	3	5	8	6
9	6	1	8	7	5	3	2	4
5	8	3	2	6	4	9	1	7
6	1	9	3	8	2	7	4	5
3	4	7	5	1	6	2	9	8
8	2	5	7	4	9	6	3	1
4	5	6	9	3	8	1	7	2
7	9	8	6	2	1	4	5	3
1	3	2	4	5	7	8	6	9

مشاهير 3346

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

شاعر عراقي معاصر وعضو جمعية المؤلفين وناشري الموسيقى العالمية. حصل على جائزة منظمة اليونسيف لأفضل أغنية إنسانية عن قصيدة غنّاها الفنان كاظم الساهر

1+8+3+4 = ضد بخيل ■ 5+6+7+2+10 = الورد وشريان الدم ■ 9+11 = للتفسير

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: بوك اميك بوتا

حول العالم

رودويك لاعباً لشيفيلد

أعلن نادي شيفيلد يونايتد الإنكليزي أن اللاعب جاك رودويل قد وقّع على عقد قصير الأجل مع النادي، وسيكون متاحاً لمباراة يوم غد الأحد ضمن بطولة كأس الاتحاد الإنكليزي أمام نادي فيلد. يُذكر أن لاعب خط وسط منتخب إنكلترا السابق البالغ من العمر 28 عاماً يتدرب مع النادي منذ مغادرته لنادي بلاكبيرن روفيرز في الصيف الماضي. من جهته قال مدرب شيفيلد يونايتد كريس وايلدر، «نأمل أن يبدأ مسيرته من جديد، لديه بالتأكيد الرغبة في المشاركة». وأضاف «لقد جلست معه لفترة طويلة وتحدثت عن مسيرته، وضرورة المضي قدماً، وهو يتماشى مع أهداف النادي، يلعب في عدد من المراكز، وأمل أن نتمكن من دفعه إلى الأمام».

ضربة قوية لتوتنهام

تلقّى نادي توتنهام الإنكليزي ومدربه البرتغالي جوزيه مورينيو ضربة قوية بعد تأكد إصابة المهاجم الدولي الإنكليزي هاري كاين لمدة طويلة. وكان كاين قد غادر ملعب المباراة التي خسرها فريقه أمام ساوثهامبتون بنتيجة (0-1) متأثراً بإصابة في ركبة القدم اليسرى. وأظهرت الفحوصات أن كاين يحتاج إلى العلاج لمدة تتراوح من 4 إلى 6 أسابيع حسبما ذكرته الصحافة الإنكليزية. وبذلك يتأكد غياب هدّاف توتنهام عن مباراتَي ليفربول ومانشستر سيتي المقبلتين، بالإضافة إلى مباريات كل من واتفورد وميدلزبره ونوريتش سيتي وأستون فيلا، ومن المرجح أن يكون خارج الحسابات في مباراة ذهاب دور الـ16 من دوري أبطال أوروبا أمام لايبزيغ الألماني. ويُعتبر هاري كاين الهدّاف الحالي لتوتنهام، حيث سجّل 11 هدفاً في الدوري الإنكليزي و6 أهداف في دوري أبطال أوروبا هذا الموسم. ويحاول توتنهام الوصول إلى المركز الرابع في الـ«بريميرليغ»، لكنه لا يزال بعيداً بفارق 6 نقاط عن تشيلسي.

كأس السوبر بين النصر والتعاون

يشهد ملعب مدينة الملك عبدالله الرياضية «الجوهرة المشعّة» (اليوم الساعة 19:15) النسخة السادسة من مباراة الكأس السوبر السعودية في كرة القدم، بين النصر بطل الدوري والتعاون بطل كأس الملك، الباحثين عن لقب أول. وسيكون ملعب مدينة جدة، وهو من الأبرز في المملكة، على موعد مع السوبر المحلية قبل أيام من استضافته منافسات الكأس السوبر الإسبانية للمرة الأولى، وذلك بين الثامن من كانون الثاني/يناير و12 منه. ويعتبر لقاء اليوم الثاني بين النصر والتعاون في أقل من شهر، بعدما انتهى لقاؤهما في المرحلة الحادية عشرة من الدوري في 13 كانون الأول/ديسمبر الماضي، بفوز لصالح النصر بنتيجة (2-1).

ويقدم النصر هذا الموسم مستويات جيدة في الدوري، إذ يحتل الصدارة برصيد 29 نقطة، وبلغ الدور ربع النهائي لمسابقة كأس ولي العهد، ويأمل في استثمار الاستقرار الفني الذي يشهده للتتويج بلقب كأس السوبر بعد محاولتين سابقتين لم يُكتب لهما النجاح.

وسيتمكن المدرب البرتغالي للنصر روي فيتوريا من إشراك المدافع عبدالله مادو في مواجهة اليوم بعد غياب بسبب الإصابة، ومثله المهاجم عبد الفتاح آدم، بينما سيفتقد للمدافع عمر هوساوي بسبب تمزّق عضلي.

ويعول النصر على هدّافه المغربي عبد الرزاق حمد الله المتوّج الأسبوع الماضي بجائزة «غلوب سوكر» لأفضل لاعب عربي، إلى جانب أسماء أخرى مثل مواطنه نور الدين أمرابط وسلطان الغنام وعبدالله الخيبري والبرازيلي جوليانو ومواطنه بيتروس وأنيجيري أحمد موسى.

وفيات

ذكرى أسبوع

تتقدّم عائلة المرحومة

الحاجّة زينب الشيخ عباس شري

(أمّ أمين)

بالشكر والامتنان إلى كلّ من واسانا برحيل الأمّ والجدّة سواء بالاتصال أم بالحضور الشخصي، سائلين الله تعالى أن يمنّ عليكم بطول العمر. ونظراً للأوضاع المحيطة نعلن إلغاء الحفل التأبيني يوم غد الأحد ٢٠٢٠/١/٥ في بلدة «خربة سلم».

بمزيد من الرضى والتسليم، ننعى إليكم المرحوم بإذن الله تعالى الغالي

محمد بسام المصري

أشقاء الفقيد: محمد وائل ومحمد غزوان المصري

شقيقات الفقيد: لينا وريما المصري

أصهار الفقيد: بدر أكرم طرابيشي وأسامة نبيل الكزبري

نسيب الفقيد: محمد محفوظ

أبناء أشقائه: يزن وسيرين وليا المصري

أبناء شقيقاته: غيث وعمر وغزل طرابيشي وزيد وكريم وسيدرا الكزبري

وعموم آل المصري والطرابيشي والكزبري والبخاري والقطمة ومحفوظ

تقبل التعازي في DUNES CENTER في فندق راديسون بلو فردان الطابق الأول، يومي الثلاثاء والأربعاء الواقع في 7 و8 كانون الثاني 2020 وذلك من الساعة الثالثة من بعد الظهر لغاية الساعة السابعة مساءً.

الراضون بقضاء الله وقدره: آل المصري وأنسباؤهم

بمزيد من الرضى والتسليم بمشيئة الله تعالى، ننعى إليكم بمزيد من الأسى الغالية المرحومة

الدكتورة سامية عبد الله حمدان

زوجة المرحوم المهندس غالب علي أحمد

ولدها المهندس سامر علي أحمد

بناتها: المهندسة زينا والدكتورة دانيا علي أحمد زوجة الدكتور موسى منصور

أحفادها: غالب، حارث داليا علي أحمد، جاد وشادي الحلبي، عامر وسارة منصور

يصلّى على جثمانها الطاهر عند الساعة الواحدة، ظهر يوم الجمعة الموافق 3 كانون الثاني 2020 في جبانة الشهيدين ـ الغبيري حيث توارى في الثرى.

تقبل التعازي قبل الدفن وبعده ونهار السبت الواقع فيه 4 كانون الثاني في منزلها الكائن في منطقة الظريف، بناية تلة الظريف، الطابق السادس، ونهاري الأحد والاثنين في 5 و6 كانون الثاني في نادي متخرجي الجامعة الأميركية في بيروت الكائن في منطقة الوردية الحمرا من الساعة العاشرة صباحاً حتى السابعة مساءً.

لفقيدتنا الغالية الرحمة والمغفرة ولكم الأجر والثواب

الأسفون: آل حمدان، آل علي أحمد، آل الحلبي، آل منصور، وعموم أهالي بلدتَي حاروف والنبطية.

إعلانات رسمية

إعلان قضائي

لدى المحكمة الابتدائية في جبل لبنان، المتن، الغرفة التاسعة الناظرة بالدعاوى العقارية برئاسة القاضي سيلفر أبو شقرا، تقدم المستدعي بطرس دلة بواسطة وكيلته المحامية كوليت قسيس باستدعاء سجل بالرقم 2019/1971 يطلب فيه شطب اشارة استحضار مقدم لمحكمة البداية في بعبدا رقم 81/1718 من المدعية روز غالب الترك ضد انيسة يوسف الحلاق وورينيه جرجس جبران يومي 294 تاريخ 1981/4/22 عن العقار 1196 سن الفيل العقارية سنداً للمادة 512 أ.م.م. مهلة الملاحظات والاعتراض خلال عشرين يوماً تبدأ من تاريخ النشر.

رئيس القلم كيوان كيوان

إعلان

صادر عن دائرة تنفيذ بيروت يبلغ الى المطلوب إبلاغه موفق حسن مرعي مجهول محل الاقامة عملاً بأحكام المادة /409/ أ.م.م. تخطركم هذه الدائرة بأن لديها في المعاملة التنفيذية رقم 2018/1444 إنذاراً اجرائياً موجهاً اليكم من طالب التنفيذ بنك سوسيته جنرال في لبنان ش.م.ل. ناتجاً عن طلب تنفيذ سندات دين وعقد قرض بقيمة /6245/ د.أ. عدا الفوائد والرسوم والمصاريف.

وعليه تدعوكم هذه الدائرة للحضور اليها شخصياً أو بواسطة وكيل قانوني لاستلام الانذار والاوراق المرفقة به علماً بأن التبليغ يتم قانوناً بانقضاء مهلة عشرين يوماً على نشر هذا الاعلان وعلى تعليق نسخة عنه وعن الانذار المذكور على لوحة الاعلانات لدى دائرة تنفيذ بيروت ليصار بعد انقضاء هذه المهلة ومهلة الانذار البالغة عشرة أيام الى متابعة التنفيذ بحقكم أصولاً حتى الدرجة الأخيرة.

مأمور تنفيذ بيروت

نسرين الحصروني

إعلان

صادر عن محكمة صفين المدنية - أحوال شخصية (الرئيس التقي)

تقدم المستدعي حسن محمد عباس من بلدة زلايا بتاريخ 2019/11/6 باستدعاء وعرض انه واخوته يصدد تسجيل مجموعة من العقارات على اسمائهم من مورثتهم المرحومة سكنة محمد حسين وتبين من خلال القيود العقارية ان تلك العقارات مسجلة باسم سكنة محمد عباس في حين ان اسمها في سجلات النفوس سكنة محمد حسين وطلب الحكم باعتبار ان سكنة محمد حسين هي نفسها سكنة محمد عباس والدتها لطيفة حسن مواليد 1930 متوفاة بتاريخ 1994/11/19.

فمن له اعتراض على ذلك ان يتقدم باعتراضه ضمن مهلة 20 يوم من تاريخ النشر لهذا الاعلان وتعليق نسخة عنه على لوحة الاعلانات في المحكمة والا يعتبر كل تدبير بعد انتهاء هذه المهلة نافذاً حتى القرار النهائي.

رئيس القلم

أحمد مصطفى

لإعلاناتكم الرسمية والمبوبة والوفيات

الأخبار

هاتف: 759555 ـ 01 فاكس: 759597 ـ 01

حصاد 2019

جاءت الانتفاضة في 17 تشرين الأول لتقلب المشهد التلفزيوني رأساً على عقب. قنوات وإعلاميون أعادوا تموضعهم، فيما أوقفت كلّ المحطات برمجتها الاعتيادية لتواكب ما يحصل على الأرض. وفي عام 2019، تواصلت معاناة العاملين في القطاع الإعلامي الذي خنقته الأزمة المالية، فيما لفّ الموت وجهين من وجوه الصحافة السياسية والثقافية في لبنان هما إدمون صعب ومي منسى

الإعلام اللبناني يواصل درب الجلجلة ... و«الثورة» تقلب المشهد!

زينب حاوي

في أيلول (سبتمبر) الماضي، أطلقت mtv برمجتها الخريفية ضمن احتفالية جمعت وجوهاً إعلامية ودرامية، بينما ألغت «الجديد» الاحتفالية الخاصة بسبب «الشحّ المالي». لكن ما لم يكن في الحسبان، هو أن يتغيّر كل المشهد بعد أيام قليلة مع انطلاق شرارة الحراك الشعبي مساء 17 تشرين الأوّل (أكتوبر) الماضي. هكذا، قُلبت الطاولة على مشاريع بالجملة كانت يُفترض أن تخوض المنافسة البرامجية في الخريف، وقد كانت منكّهة بالكوميديا مع كسر لتقليد «برامج الإثنين» السائد منذ فترة. نُسفت البرمجة الخريفية التي كان يُعوّل عليها، ودخلنا في مرحلة جديدة كلياً، مع اصطفافات بين الشاشات بدأت منذ أكثر من شهرين، وتبدّلت تبعاً للظروف السياسية والأمنية والشعبية. فقد برزت إلى الواجهة خلال الحراك ثلاث قنوات رئيسية، هي: lbci، «الجديد» و mtv. في الفترة الأولى، شهدنا فتحاً للهواء استمر لأكثر من 16 ساعة يومياً، مع انتشار للمراسلين في أغلب البقاع اللبنانية، والحصيلة: استصراخات عشوائية، سباب وشكوى من الأوضاع المعيشية، من دون أن يغتنم الإعلام بشكل عام الفرصة لفتح نقاشات في البلد، أو حتى تصويب البوصلة تجاه ملفات الفساد ومسبّبي هذه الأزمة. في هذه الفترة تحديداً، شهدنا ظاهرة مستجدّة في الإعلام اللبناني تتمثّل في إقصاء الوجوه السياسية من قائمة الضيوف بهدف امتصاص نقمة الشارع، مؤقتاً، تماشياً مع لبس جلباب «الثورة». كان فاقعاً على سبيل المثال، انقلاب مارسيل غانم (برنامج صار الوقت ـ mtv) على كلام تفوّه به قبل أيام قليلة من «الانتفاضة»، حين مدح حاكم «مصرف لبنان» رياض سلامة ورئيس الحكومة آنذاك سعد الحريري، وتصويرهما على أنهما «منقذا البلد». بسحر ساحر، تحوّل مارسيل إلى «ثائر» على الطبقة السياسية اللبنانية التي لطالما طبّل لها طوال ربع قرن. والأنكى أنه في الحلقة المذكورة (25 تشرين الأوّل)، ظهر من خلف الكواليس رئيس مجلس إدارة القناة ميشال المرّ، في مشهد ممسرح، ليشيد بفريق محطته ويقتحم هذه «المشهدية الثورية» المتلفزة.

أما «الجديد» التي قدّمت نفسها كحاضنة لهذه «الثورة»، فقد تأخّرت أسابيع قبل أن تطرح برنامج «يوميات ثورة»، وتعيد فتح ملفات الفساد وتثير على مدى أسبوعين متتاليين زوبعة على مواقع التواصل الاجتماعي، لتعود بعدها وتخمد هذه «الفورة» لصالح مشهدية تسيطر عليها مواضيع خفيفة ومثيرة، لا تمسّ للمشهد الغاضب على الأرض بصلة. حتى إننا ذهبنا أحياناً من جديد صوب «برامج الإثنين» (على «الجديد» و mtv)، والتنافس على مواضيع تنطوي على الجنس والشعبوية. كما عادت الوجوه السياسية إلى القنوات التي عادت لتفتح الهواء لبعض الساسة الذين أعلنوا تأييدهم للحراك، إلى جانب بعض المصرفيين الذين راحوا يدافعون عن السياسات النقدية وممارسات البنوك.

من جهتها، ظلّت lbci الرابح الأبرز بفعل ما أرسته في التغطيات من توازن بين الأطراف كافة، واستطاعت بحنكة تبعاً للظروف الراهنة، قطف جمهور «الشارع الشيعي» بعد القطيعة التي حصلت بينه وبين «الجديد»، إثر قطع شركات «الكابيل» بثّ «الجديد» عن ضاحية بيروت الجنوبية والجنوب والبقاع وجزء من بيروت، على خلفية أدائها، ولا سيّما لناحية تصويبها على «الثنائي الشيعي» وهجومها على «حزب الله». بناءً على هذه القاعدة الجديدة، تغلغلت «المؤسسة اللبنانية للإرسال» أكثر في المناطق التي مُنعت فيها «الجديد»، لنصل أخيراً إلى أحداث الشارع في «الرينغ» ووسط العاصمة، حيث حرصت lbci على دخول «الخندق الغميق» وتظهير الصورة الحقيقية لهذه المنطقة التي كانت تحت مرمى الإعلام المنافس في الأبلسة والاتهام... من دون أن ننسى قيام المراسلة رنيم بو خزام بتغطية متفرّدة بين منطقتَي «عين الرمانة» و«الشياح» والتركيز على الخطاب التهدوي والوحدوي بين البقعتين.

على مقلب otv، اتسم الأداء بتخبّط واضح منذ بدء الحراك، إذ قوبلت المحطة بالسقف الأعلى من الاتهامات والتضييق، لما تمثله من خط سياسي. مرّة كانت تكمل برمجتها كالمعتاد وتنصّت المرأة مثلاً بكيفية العناية ببشرتها، فيما الشارع مشتعل. ومرة أخرى، تحاول مجاراة الحراك وإطلاق برنامج جديد بعنوان «رح نبقى سوا» في محاولة لمواكبة ما يحدث على الأرض، واستضافة وجوه قريبة من

أطل الإعلامي علي المسمار للمرة الأولى على «المنار» بعد غياب قسري دام لأكثر من عام

هذه الأجواء، تخبّط أداء المحطة رافقته حملات شرسة ومؤذية طاولت مراسليها، تجسّدت في الاعتداء عليهم ومنعهم من إكمال رسائلهم على الهواء. ترافق ذلك مع حفلات من الشتائم والمضايقات التي انزلقت إلى حدود الشخصنة والأذية المباشرة.

◀ مصروفو «المستقبل» و«الحياة»

في حزيران (يونيو) الماضي، تحرّكت بقوة قضية مصروفي «المستقبل»، بعد أشهر من المماطلة ومهضم الحقوق. تصاعد الاحتجاج داخل المحطة، وتظهّر كذلك على الشاشة، من خلال رسائل تحذيرية، سواءً بتقليص عدد نشرات الأخبار أم وصولاً إلى الإضراب الذي شمل، للمرّة الأولى، البرامج والأخبار. وبعد

> ظلّت lbci الرابح الأبرز بفعله ما أرسته في التغطيات من توازن بين الأطراف كافة

شهرين، حصل الإضراب الشامل، وأوقفت البرمجة ونشرات الأخبار في القناة الزرقاء، ليلي ذلك بعد أسبوعين طلب مدير العمليات هناك عارف الأبريق، من الموظفين عدم الحضور إلى «بيروت هول»، كرسالة ضمنية وقتها حول طرد غير معلن، شمل الموظفين والمتعاقدين، بعد طول الأزمة وغياب مصير الرواتب والمستحقات المالية المتراكمة. إلا أنّ مالك المحطة، سعد الحريري، قرّر في منتصف أيلول (سبتمبر) إطفاء الشاشة الزرقاء وإعادة هيكلتها، بعد ربع قرن على تأسيسها. قرار شكّل صدمة للجسم الإعلامي، لتنضم «المستقبل» إلى سلسلة المؤسسات الإعلامية التي أقفلت أبوابها كصحف «السفير»، «البلد»، «المستقبل» و«الحياة»...

وحين هبّ الشارع اللبناني، أوقد معه القضية من جديد. إذ قرّر مصروفو القناة الاعتصام أمام مبناها في «سبيرز» والتعبير عن وجعهم، ليلتفت إليهم الإعلام المحلي والأجنبي، ثم تقرّر الإدارة تنفيذ ما وعدت به، وتدفع المستحقات موزّعة على 25 دفعة شهرية. على الرغم من منسوب التفاؤل الذي ساد الأجواء وقتها، إلا أنّ المشهد نفسه عاد ليتكرر. نكث بالوعود، وعودة المصروفين للاعتصام، ولو بأعداد قليلة من أجل المطالبة مجدداً بمستحقاتهم المهدورة، وسط أسئلة عن غياب الغطاء النقابي والحقوقي الذي يفترض أن يحمي هؤلاء من الكارثة الاجتماعية والإنسانية التي وصلوا إليها.

وعلى مقلب صحيفة «الحياة»، عاد ملف المصروفين للتحرّك مجدداً بعد أشهر من المماطلة، وإغلاق مكتب بيروت في عام 2018، وإيقاف النسخة الدولية، وكذلك الموقع الإلكتروني الذي توقف التحديث فيه في أيلول (سبتمبر) الماضي. فقد رفع المصروفون في الإمارات والسعودية دعوى قضائية أمام هيئة «تيكوم» الإماراتية ضد الدار السعودية، لاسترجاع حقوقهم. وفي خضمّ استمرار التظاهرات الشعبية في لبنان، لجأ مصروفو «الحياة» ومجلة «لها» للاعتصام الشهر الماضي أمام السفارة السعودية في بيروت. هكذا، للمرّة الأولى منذ بدء الأزمة، رُصّ نحو مئتَي موظف (صحافيين وتقنيين) الصفوف للاحتجاج بعد أكثر من عام على مماطلة الدار في إعطائهم مستحقاتهم.

◀ عودة علي المسمار ومفاجأة «المنار»

في 27 آب (أغسطس)، أطلّ الإعلامي علي المسمار للمرّة الأولى على «المنار» بعد غياب قسري عن الشاشة دام لأكثر من عام. ظهر في النشرة المسائية الرئيسية، بعدما قدّمته زميلته غادة عساف النمر إلى الجمهور من جديد، قائلة: «أنهي الفاصل وعاد ليواصل». عاد المسمار مع ذكرى الاحتفال بالتحرير الثاني للسلسلة الشرقية ولانتصار تموز عام 2006، وقد شكّلت هذه العودة فرصة لاختبار مدى الحب الجماهيري للإعلامي اللبناني الذي حظي باحتضان افتراضي وواقعي لم يسبق له مثيل في الجسم الإعلامي، حتى في غيابه نتيجة مقارعة المرض الخبيث. بقي المسمار حاضراً على الألسنة واسمه قيد التداول. وفي الخامس من أيلول (سبتمبر)، استضافته شاشة «الميادين» ضمن برنامج «المشهدية»، ليكشف وقتها عن الرحلة الطويلة والشاقّة التي خاضها في العلاج، ولا سيّما أنّ مرضه يُعدّ «نادراً وصعباً».

وعلى «المنار» أيضاً، وفي خطوة غير مسبوقة، كُشف في ذكرى انتصار تموز 2006 اللثام عن كواليس عملية قصف البارجة الصهيونية «ساعر 5»، التي دكّتها المقاومة في 14 تموز (يوليو) من عام 2006، وشكّلت إحدى اللحظات التلفزيونية المفصلية، كونها حصلت مباشرة على الهواء بأمر أمين عام «حزب الله» السيد حسن نصرالله لها. ضمن حلقة «جند مغرقون» (إنتاج مشترك بين «المنار» و«الإعلام الحربي»)، عرضت قناة المقاومة صوراً لمنصة الصواريخ التي استهدفت البارجة، وقد تموضعت كما كشف «الحاج جلال»، القائد في «القوات البحرية»، في محيط «السفارة الكويتية» في العراء. كما عرّجت الحلقة على غرفة عمليات المقاومة ضمن لقطات أظهرت كيفية تنفيذ العملية. ولا شكّ في أنّ حضور القائد العسكري الشهيد عماد مغنية، من خلال الصورة في الحلقة، كان للدلالة على دوره في هذه العملية النوعية.

◀ lbci تربح دعوى «القوات»

في شباط (فبراير)، أصدرت القاضية فاطمة الجوني، قراراً بإبطال التعقبات في حقّ رئيس مجلس إدارة lbci، بيار ضاهر، في دعوى «الاحتيال وإساءة الائتمان» التي أقامتها «القوات اللبنانية» ضدّ المحطة ورئيسها. قرار أثبت ملكية «المؤسسة اللبنانية للإرسال» للظاهر بعد 12 عاماً من المحاكمة. استندت الجوني في القرار إلى تمويل القناة في البداية من «ميليشيا منحلّة»، واكتساب المحطة «وجودها الشرعي من خلال الترخيص الذي مُنح لشركة ضاهر». القرار الصادر ألزم الجهة المدّعية ببدل عطل وضرر، و«ردّ كلّ ما زاد أو خالف»، و«بتضمينها» النفقات. وسادت هذه المرحلة أجواء توتر بين الفريقين، وتسريبات واجتزاءات من حقبة الثمانينيات. يذكر أن lbci ربحت أيضاً في «محكمة التحكيم الدولية» في فرنسا دعوى شخصية كانت شركات الأمير الوليد بن طلال قد رفعتها ضدها، بشأن تصرّف الضاهر في إدارتها، وعلى رأسها شركة «بال». إذ أكد القرار أنّ هذه الشركات تتحمّل وحدها إفلاس «بال»، ويتوجّب عليها تسديد الأموال للضاهر.

◀ «اللبناني قبل الكل» وعودة التحريض

زوبعة بكل ما للكلمة من معنى، أثارتها في حزيران (يونيو) حملة «اللبناني قبل الكل»، التي أطلقها «قطاع الشباب والرياضة» في «التيار الوطني الحر». أجواء مسمومة أعيد إنتاجها في تلك الفترة، من خلال استخدام قانون العمل لمحاربة اليد العاملة الأجنبية، وخصوصاً السورية. حملة تخطت الإطار الموضوع لها، وذهبت نحو العنصرية ورهاب الأجانب، وحتى إذلال العمال الأجانب، بمعية otv، التي ساندت هذه الحملة وأسهمت في التحريض على هؤلاء، من خلال تصوير شبان من التيار يدخلون إلى محال تجارية ويتأكدون من أنها خالية من الأجانب!

حملة ميدانية وافتراضية ممنهجة، أعادت واقعاً سبق أن اختبرناه بعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري حين زاد التحريض على السوريين، إلى درجة وصلت إلى حدود التصفية الجسدية لبعض العاملين في لبنان. وإبان فتح وزير العمل كميل أبو سليمان ملف العمالة الفلسطينية في لبنان في أيلول (سبتمبر)، وقرار الفصائل الفلسطينية الاعتراض عليه، استرجعت lbci خطاباً انعزالياً لازمها لسنوات، إذ أعادت وقتها التذكير بأسباب اندلاع الحرب الأهلية، وراحت بإمكانية تكرار السيناريو نفسه بعد أربعين عاماً، على خلفية تنظيم اللاجئين الفلسطينيين وقفة احتجاجية في مخيم «عين الحلوة» (صيدا ـ جنوب لبنان).

جاء الحراك ليعيد تموضع القنوات اللبنانية (اللوحة للرسام شوقي دلال)

قزر مصروفو «المستقبل» قناة الاعتصام أمام مبناها في «سبيرز» احتجاجاً على عدم دفع مستحقاتهم (هيلم الموسوي)

اعتصم مصروفو «الحياة» ومجلة «لها» أمام السفارة السعودية في بيروت (مروان طحطح)

الخاص به. لم يقف الأمر عند هذه الحدود، بل أطاح الحراك بشكل كلي بهذا البرنامج ومصيره، إذ تبدّلت البرمجة، ليعود ويظهر معلوف على mtv لكن ضمن مساحات تُعنى بمواكبة التظاهرات الشعبية، إلى حين تثبيت برنامج خاص له في هذا الإطار تحت عنوان «آخر نفس». يتابع العمل قصصاً تخص الحراك، لكن من زاوية تسعى إلى الشحن العاطفي أكثر من تقديم مادة مفيدة.

◀ إدمون صعب

في نهاية الشهر الأوّل من عام 2019، رحل الصحافي الكبير إدمون صعب (1940 ـ 2019) بعد صراع مع المرض. أسبوع واحد فصل بين رحيله ووفاة الأديبة والصحافية مي منسى (1939 ـ 2019). عمل صعب قرابة 45 عاماً في مجال الصحافة المكتوبة متنقّلاً بين صحف «النهار»، «السفير» و«الأخبار»، مع مساهمات غنيّة في قسمَي «الرأي» و«السياسة المحلية». ينتمي صعب إلى مدرسة عريقة من الصحافة اللبنانية، عاصر فيها كبار الصحافيين، وقد صدر له كتاب «العهر الإعلامي... من إبراهيم اليازجي إلى غسان تويني» (دار الفارابي)، ولم يسعفه الوقت ليشهد صدور كتابه الثاني «مسيرة عمر مع غسان تويني من زنزانة الحرية الى رهبانية النهار» (الفارابي)، الذي يتوزّع على فصلين: الأول بمثابة سيرة ذاتية، والثاني يسرد فيه للعوامل التي جعلت «النهار»، «مدرسة» في عهد كل من غسان وجبران تويني.

◀ جو معلوف: «يا فرحة ما تمّت»

في منتصف شهر آب (أغسطس)، أُعلن عن انتقال جو معلوف إلى شاشة mtv، بعد سنوات قضاها في lbci، متنقّلاً بين برنامجَي «حكي جالس» و «هوا الحرية»، اللذين نافسا ما يسمى «برامج الإثنين». انتهى العقد مع lbci، غير أنّ معلوف لم يهنأ ببرنامجه الجديد «بالوكالة» الذي أحيطت تفاصيله بتكتّم واضح إلى حين ظهور البرومو

الأخبار
al-akhbar
السبت 4 كانون الثاني 2020 العدد 3947

صورة وخبر

يستعد الصينيون للاحتفال بالسنة القمرية الجديدة التي توافق يوم 25 كانون الثاني (يناير) هذا العام. وتشهد البلاد في هذه المناسبة إطلاق كمّ هائل من المفرقعات النارية التي تستخدم «لطرد الأرواح الشريرة»، فيما يستمر الاحتفال لمدة 15 يوماً، إلى حين اكتمال القمر. ويتمتع اللون الأحمر برمزية خاصة في هذه المناسبة، إذ يطغى على ملابس المحتفلين وزينة العيد، كما نرى ذلك في أحد أسواق إقليم شاندونغ في شرق الصين (أف ب)

منوعات

تحية إلى «لبنان» اللحظة الراديكالية!

تحت عنوان «لبنان»، يتواصل المعرض الجماعي الذي تحتضنه صالة 56th Art on في منطقة الجميزة، موجهاً تحية إلى لبنان وأهله. يهدف هذا المعرض إلى توفير منصّة لمروحة متنوعة من الفنانين اللبنانيين والعرب من أجل التعبير عن وجهة نظرهم ورؤيتهم إلى التطورات الحالية في لبنان والحراك الشعبي الذي انطلق في 17 تشرين الأول (أكتوبر) الماضي. انطلاقاً من أنّ «الفن هو مسودة التاريخ الأولى، يهدف الفنانون في هذا المعرض إلى تخليد هذه اللحظة التاريخية الراديكالية وتوجيه تحية إلى لبنان الجميل والمرن» بحسب بيان الغاليري. يضم المعرض أعمال كل من أحمد البحراني، ومحمد المفتي، وسهام عجرم، وزينة قمر الدين بدران، وجورج باسيل، وبيتينا خوري بدر، ووسام بيضون، ونعيم ضومط، وجوانا حايك فارس، وديالا الخضيري، ولونا معلوف، وادغار مازجي، ورفيق مجذوب (الصورة من أعماله المشاركة

في المعرض)، وريتا ماصويان، والياس مبارك، وغيلان الصفدي، علماً بأنّ المعرض الذي يتولى تنسيقه كل من جوانا جونسون ابشي، واياد نجا يستمر حتى 25 من الشهر الحالي.

* «لبنان»: حتى 25 كانون الثاني (يناير) 2020 ـ Art on 56th (الجميزة . بيروت). للاستعلام: 01/570331

خالد مزنّر جائزة لـ «كفرناحوم»

بعد نيله العديد من الجوائز أبرزها جائزة لجنة التحكيم ضمن «مهرجان كان السينمائي الدولي» عام 2018، حصل فيلم «كفرناحوم» للمخرجة اللبنانية نادين لبكي أخيراً على جائزة أفضل موسيقى تصويرية (تأليف خالد مزنر) ضمن «المهرجان الدولي للموسيقى والصوت للأفلام» في كرواتيا. كما رُشّحت الموسيقى التصويرية لـ«كفرناحوم» لجائزة الجمهور، في احتفال جوائز الموسيقى التصويرية World Sound Track Award في بلجيكا، حيث حضر خالد مزنر (الصورة) الذي شكر رفيقة دربه نادين لبكي وجميع الموسيقيين الذين عملوا معه. يذكر أنّ «كفرناحوم» الذي شارك في المسابقة الرسمية في «مهرجان كان» يعكس قضايا اجتماعية راهنة، أبرزها اللجوء والفقر وعمالة الأطفال والحرب، من خلال الطفل زين الذي يرفع دعوى قضائية على والديه لأنّهما أنجباه إلى الحياة.

الأزمة المالية تضرب مهرجانات الصيف
سيلين ديون مباشرة إلى تل أبيب!

يبدو أن سنة 2020 لن تشهد تعافي المهرجانات الصيفية المحلية بسبب الأزمة السياسية والاقتصادية التي يعيشها لبنان. ففي هذه الفترة من كل عام، ينطلق الإعداد للمهرجانات وتنسيق جدول مواعيد الفنانين الذين يفترض مشاركتهم في حفلات الصيف. ضمن هذا السياق، أعلنت لجنة «مهرجانات بيبلوس» أمس عن إلغاء حفلة مغنية البوب الكندية سيلين ديون التي كان يفترض أن تقام عند «واجهة بيروت البحرية» في 31 تموز (يوليو) المقبل. وأعلنت اللجنة إلغاء السهرة المنتظرة، عازية ذلك إلى «الظروف الراهنة التي يمرّ بها لبنان». وتحدّث بعض المعلومات عن أن المهرجانات لا تزال تعاني من أزمة مالية ستؤثر حتماً على برمجتها هذه السنة أيضاً، علماً بأنّ «مهرجانات بيبلوس» كانت قد واجهت في دورتها الماضية في الصيف الفائت أزمة حقيقية تمثّلت في إلغاء عدة حفلات من بينها سهرة فرقة «مشروع ليلى» التي شنت عليها حملة أصولية بسبب بعض كلمات أغنياتها! من جانبها، نشرت ديون جدول حفلات جولتها الفنية التي تحمل اسم Courage (شجاعة)، حيث تجول فيها على عواصم عديدة، ولم يكن لبنان من ضمنها. وكانت مجموعة من الفنانين الفلسطينيين والعرب قد وجّهوا رسالة إلى ديون يطلبون فيها إلغاء حفلتها في تل أبيب في آب (أغسطس) 2020. كما وجّهت «حملة مقاطعة داعمي «إسرائيل» في لبنان» رسالة إلى الفنانة تحت عنوان «لا تسمحي لموسيقاكِ بتبييض جريمة الفصل العنصريّ والاحتلال».

الأخبار al-akhbar

السبت 4 كانون الثاني 2020
العدد 3947 السنة الرابعة عشرة
Samedi 4 Janvier 2020 no 3947 14ème année

كلمات

ملحق أسبوعي

www.al-akhbar.com

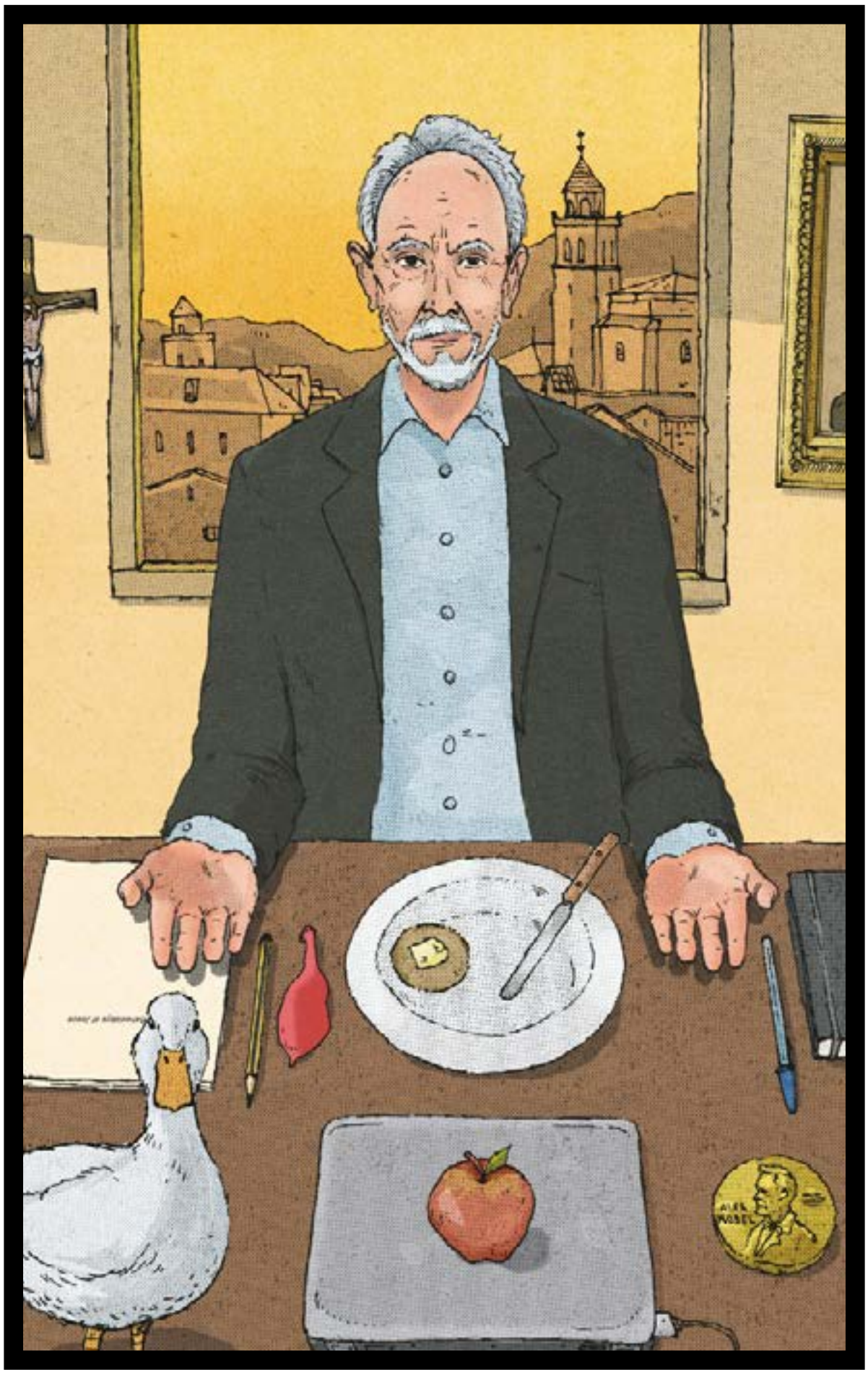

ج. م. كويتزي
موت يسوع نهاية الرحلة

بعد طول انتظار ختم ج. م كويتزي (1940) ثلاثيّته «حياة يسوع» برواية «موت يسوع» التي صدرت بالإنكليزيّة في أستراليا، وفي لندن قبل أيّام (Harvill Stecker)، مفتتحة العام بعمل أجمع النقاد على اعتباره الثلاثية الأكثر غرائبيّة لهذا العقد. الكاتب الجنوب أفريقي الذي ورث من بيكيت القدرة على الالتصاق بالجزء العليل من العالم، ما زال وفياً للعبث، ولعالم قائم على حيرة الإنسان الأزليّة. هذا البنّاء الروائي المحترف، تناول القضايا السياسية الآنيّة والثيمات الإنسانية الكبرى، ضمن حبكة خياليّة تقوم على عناصر متنوّعة من اللغات والإحالات الدينية والموت والبعث. لا شخصيّة تدعى يسوع في الثلاثيّة بأكملها، إلا أنه يظهر في شخصيّة البطل ديفيد الذي بلغ الآن عامه العاشر بعدما ولد في الجزء الأوّل من الثلاثيّة «طفولة يسوع» (2013)، وأكمل حياته في «الأيام الدراسيّة ليسوع» (2016). لا يكفّ الطفل عن طرح الأسئلة، فيما حسم الأمر بأنه لن يقرأ رواية أخرى غير «دون كيخوته» لثيربانتس. ربّما لذلك أراد كويتزي أن تصدر الرواية بنسختها الإسبانية المترجمة العام الماضي، قبل صدورها بلغتها الإنكليزية الأصليّة أخيراً. إنها أيضاً لغة المنطقة المتخيّلة التي تجري فيها أحداث القصّة. لكن هذه الخطوة ترتبط بشكل مباشر بحياة كويتزي الشخصية والأدبيّة وزياراته المتكرّرة في السنوات الأخيرة إلى «جامعة سان مارتين الوطنية» في بوينس آيرس، لإدارة سلسلة من المؤتمرات الأدبية بعنوان «آداب الجنوب» بهدف تجاوز «حرّاس الشمال» الذين يقرّرون كتب الجنوب التي يحقّ لها أن تترجم إلى الإنكليزيّة. بالنسبة إلى كويتزي، كما عبّر في مقابلات عدّة، كان إصدار الرواية بالإسبانية وسيلة للتخلّص من الملل الذي به يقابل قرّاء الإنكليزية أعماله في العادة، كما فعل العام الماضي حين أصدر مجموعته القصصية «حكايات أخلاقيّة» بالإسبانيّة أيضاً، سبقتها خطوات مماثلة في بعض كتبه ورواياته التي صدرت بترجمتها الهولنديّة بداية، أي لغته أجداده الأولين. في الجزء الأوّل من الثلاثيّة، يصل الطفل اليتيم ديفيد إلى بلدة نوفيلا. تحيل الثلاثيّة منذ البداية إلى اللجوء الذي يجرّد المهاجرين من ذاكرتهم. في تلك المنطقة المتخيّلة، يجتمع ديفيد بالأم إنييز والأب سيمون اللذين يتبنيانه. لكن لا خلاص في أرض الخلاص القابعة تحت الحكم الديكتاتوري، حيث لا سبيل إلى الفرديّة إطلاقاً. تنقّلت الثلاثية بين مناطق جغرافيّة عدّة. إلا أن الانتقال الأبرز الذي يحيل إليه الجزء الثالث هو الآخرة، أو الحياة بعد الموت. أكثر ما يشغل بال الطفل هو احتمال لقائه بالدون كيخوته هناك!

ذاكرة

ارتبط اسم «الحشّاشين» في الغرب والشرق بالفرقة الآنت حارية المرابطة في قلعة الموت فوق جبال الديلم، وق د عرفوا بذلك لتعاطي الحشيش المخدّر بفرض من زعيم هم حسن الصبّاح. غير ان كتب التاريخ الإسلامي ومنها تو اريخ القرون الوسطى العربية، وكتب الملل والنحل، لا تف يد بشيء عن اصل تسمية الحشاشين ولا المخدر المقص ود او علاقة ساكني القلعة به، ما عدا ما اورده بنيامين التطيلي، في رحلته حول «أرض الملاحدة التي تسكنها طائفة لا تؤمن بدين الإسلام، يعتصم رجالها بالجبال المني عة، ويطيعون شيخ الحشاشين، وهم أشداء لا يقدر أحد على قتالهم» سيبقى اقتران الحشيش بالمخدر لغزاً محيّ راً في التراث العربي والإسلامي. فقد عدّ أبو الخير الإشبيلي (القرن السادس الهجري) للحشيش اربعين نوعاً، ليس ب ينها المخدّر المقصود، منها: الحشيش البابلي، وحشيش الافعى النافع لنهشها، وحشيش الداحس النافع للسعا ل، وحشيش الطلق النافع للولادة، لترد إشارة من ابن وح شية في كتاب «الفلاحة النبطية» حول حشيش الخش خاش الذي «يخدّر الدماغ وإن أكثر منه قتل للنفس بلا تاخير، وخاصة للبارد المزاج من الناس... يتخذ منه شراباً فيكون ابلغ في التنويم وتسكين اللهيب وجميع الاوجاع»، او من ابي الخير الإشبيلي حول الحشيش المتخذ من بذور شجرة القنب «كثيره يصدع الراس، ويجفف المني، ويقطع النسل، ويسكر كما تسكر الخمر». التنقيب في التراث العربي والإسلامي حول النبتة الإشكالية، يفضي إلى الاستنتاج بان المرويات حول الحشيش ستنتشر بكثرة بعد العام 1378م، أي بعد زمن جماعة الصبّاح بمئتي عام، ما يضع مروية بنيامين التطيلي وما نقله الرحالة ماركو بولو موضع الشك. نستعرض في «كلمات» الموروث العربي والإسلامي حول النبتة المحرّمة بمحاسنها واضدادها

إعداد **محمد ناصر الدين**

ما تناقلته الكتب عن النبتة المحرّمة بمحاسنها وأضدادها

الحشيش في الموروث العربي والإسلامي

كلما أكَلَه... ثار فيه الوجد والطرب

في أصل هذا النبات قيل: إن أول من أظهرها الشيخ حيدر الخراساني، أعاد الله علينا من بركاته، إنه خرج من خَلوته إلى الصحراء وقت القائلة منفرداً بنفسه عن أبناء جنسه، فوجد كل شيء من النبات ساكناً لا يتحرك لعدم الريح في شدّة القيظ الذي لا يدرك، وإنه مرّ بنبات له ورق يهبر الحدق، فراه في تلك الحالة يميس بلطف ويتحرك من غير عنف كالثمل النشوان والترف السكران، فناداه منادي الكشف بلسانه أن «كلّ من ورق هذا النبات، فإنه أعظم القربات، فهو طعام المتقربين في معانينا ومدام المعتبرين بمغانينا». فلما أكله ثار فيه الوجد والطرب، ورأى من نفسه في مشاهدة مطلوبه العجب، فلما تحقق الشيخ أمره، وجد في باطنه سرّه وعلم أثره وحكمه، رجع من وقته بقوة همه وأمر أصحابه باكله وإخفاء سرّه عن غير أهله لما فيه من السرور المضاعف والفرح الزائد المترادف والنشاط الكامل والاغتباط المتواصل ما يعجز المرء عن كتمانه لغلبة سلطانه. قال أبو خالد: زرعتها بزاوية الشيخ في حياته، فامرني بزرعها حول ضريحه بعد وفاته. وعاش الشيخ حيدر بعد أن اوقفنا على هذا السرّ المكنون والأمر المصون عشر سنين وانا في خدمته لم أره يقطع أكلها في كل يوم، وكان أمرنا بتقليل الغذاء وأكل هذه الورقة الخضراء، وتوفي الشيخ، رحمه الله، في سنة 618 بزاويته بجبّل بين نشاوور وراوه، وعلى ضريحه قبّة عظيمة، وله النذور الوافرة من أهل خراسان، وهم يعظمون قدره ويزورون قبره ويحترمون أصحابه ويجلونهم إلى وقتنا هذا، وليس في فقراء العجم أتقى منهم سيرة ولا أنقى سريرة.

(السوانح الأدبية في مدائح القنبية ـ تأليف: الحسن ابن محمد العكبري)

■■■

في آداب استخدامه

اعلم أنه يجب على العاقل الأديب الفاضل الأريب إذا أراد استعمال هذا العقّار المفضل بالإباحة على العقار أن يطهر من النجس جثمانه ومن الدنس قمصانه ويتحلى باكتساب الفضائل، ويتخلى عن ارتكاب الرذائل ويلتمسه ممن يخبر سيرته، ويشكر سيرته ويأكله في محله ولا يبلعه مع غير أهله، ويقبضه بيده اليمنى دون اليسرى، ويقول: بسم الله ربّ الآخرة والأولى «الذي أخرج المرعى» «وخلق فسوّى» ورزق وأعطى، وقدّر وهدى، وعلم السرّ وأخفى، وصلى الله على محمد نبيّ الهدى وأصحابه أئمة الهدى والتقى، اللهم إنك أودعت الحكمة في مخلوقاتك وأبدعت المنفعة بمصنوعاتك، وعرّفت خواصّها من ارتضيته، وألهمت أسرارها من اصطفيته، وإنّ هذا النبات الذي دبّرته بحكمتك وأخرجته بقدرتك وجعلته رزقاً لكثير من خليقتك بقضائك وإرادتك وقدرك ومشيئتك، فأسألك بكرمك العامّ للخاصّ والعامّ أن توفّقني فيه للعمل بطاعتك والإقلاع عن معصيتك، وتقطع عنّي الشهوات وعوائقها والشبهات بعلائقها والأحزان وجهل حجّة القصد والطلب.

(راحة الأرواح في الحشيش والراح ـ تأليف: تقي الدين أبي التُّقى البدري الدمشقي)

■■■

في طبع هذا النبات

قال ابن يحيى: إنها تثير الخلط الكائن في الجسد كيف ما كان، فصاحب الصفراء يحدث له حدّة وجراة، وصاحب البلغم يحدث له سُبات وصمت، وصاحب السوداء يحدث له بكاء وجزع، وصاحب الدم يحدث له سرور ونشوة، فتجد كل واحد منهم يحدث فيه بمقدار ما تغلّب على مزاجه المذكور من الخلط. منهم من يمري بدنه على تعاطيها، ومنهم من تفسد مزاجه وتصفر وجهه وتورث له الداء... ورأيت من خواصها أن كثيراً من الحيوانات ذوات السموم كالحيّة وغيرها، إذا شمّتْ ريحها من بعيد هربت منه، وهذا من خواصها وتمنع عن نفسها بخاصية فيها ضدّ الخمر، وذلك أنني شاهدت ثعباناً يمجّ من إناء فيه خمر حتى أتى على أكثره ثم قذفه من جوفه في الإناء. ورأيت أن الإنسان إذا أكل الحشيشة ووجد فعلها في نفسه واحبّ أن يفارقها ويفارقه فعلها، قطّر في منخريه شيئاً من الزيت أو أكل شيئاً من اللبن الحامض، ومما يضعف قوّة فعلها ويكسره العوم في الماء الجاري البارد، والنوم يذهبه ويبطله أيضاً.

وقال جالينوس: بزر هذا النبات يطرد الرياح ويحلل النفخ ويجفّف تجفيفاً يبلغ من قوّته أن الإنسان إذا أكثر أكله جفّف المنيّ؛ وقال ابن سينا: رديء الخلط قليل الغذاء وقال ابن البيطار في مفرداته منشّف لرطوبة المعدة، قاتل للديدان؛ وقال إسحاق: عسر الانهضام رديء للمعدة مصدّع والدم منه راجع إلى الصفراء ويصير له بخار ويعقل البطن ويدرّ البول، والمقلوّ منه حبه اقل ضرار. وقال الرازي: يصدّع ويظلم البصر ويمنع من ذلك شرب الماء البارد وقضم الثلج عليه وأخذ شيء من الفواكه الحامضة. وقال ديسقوريدوس: كثرة أكل الورق منه يقطع المنيّ وإذا كان البزر طرياً، فإذا أخرج ماؤه وقطّر في الأذن وافقها.

(منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان تأليف: عليّ ابن عيسى ابن جزلة)

■■■

من عجائب آثاره في الطب

إن ممّا يبرئ من الصرع في وقته بخاصية فيه ورق الشهدانج البستاني، وقد جرى في زماني ما يدلّ على صحة ذلك، أن ظهير الدين محمد ابن إسماعيل ابن الوكيل من أكبر بيوت أهل بغداد، وكان والده حاجب ديوان المجلس في الدولة العباسية في وزارة ابن العلقميّ وابن الناقد، فغلبتْ على الظهير المذكور السوداء حتى أفضى به هذا الوصف إلى أن عضّ له إبهام من أصابعه فأبانها فسُجن في منزله وسُلسل، وكان ينصرع في كل أسبوع مرة، وأخذت الأطباء في معالجته نحواً من ستة أشهر فلم يبرأ، فأدخل عليه للعيادة عليّ ابن مكي، وكان من أحذق أهل زمانه بضرب العود ونظر الدفّ ونظم الشعر الجيد شهد له بذلك جماعة من أهل الفنون، وكان والده شاعراً أيضاً في أيام الإمام الناصر لدين لله، فلمّا رأى ابن مكي منه ذلك، أبرز من كمّه شيئاً من الحشيش وكان لا يفارقه فأخذ منه واستعمل وعرض على ظهير الدين أكلها، فأبى وامتنع لأنه لم يكن أكلها في عمره، فلم يزل يلاطفه بخلاّعته ويستدرجه بظرافته حتى أكلها، ثم إن ابن مكي ضرب بالعود وغنّى من رقيق شعره، فلم يكن إلا ساعة حتى وجد ظهير الدين فعل الحشيشة في نفسه وحسّه، فعاد إلى عقله وأنكر على أهله ما رأى من سوء حاله، وبرئ من ذلك الوصب من يومه، وكان ذلك اليوم نوبته في الصرع، ولم يعلم لزواله سبب غير تناولها، ثم إن ظهير الدين لم يقطع أكلها بعد ذلك. أقول: وهذا من عجيب الاتفاق وغريب مستظرفات الحكايات.

(كتاب المنصوري ـ تأليف محمد ابن زكريا الرازي)

■■■

* في ذكر مستعمليه ولطائف من قد وقع فيه

يُحكى أن رجلاً كان يتزيّا بزي الفقهاء، فاستعملها ليلة بزائد وكان عند قوم أرياف فأمّ بهم صلاة العشاء، وسجد السجدة الأولى فلم يقم، فحرّكوه ليقم، فلم يقم. فخرج الأرياف من المسجد وهم يقولون «رحم الله الإمام، فإنه كان رجلاً ديناً حتى قبض في الصلاة» ثم إنهم غطّوه فلما أصبحوا، أحضروا المغاسل والحنوط وأرادوا أن يحملوه فقال لهم: «هل أقمتم الصلاة حتى نصلي المغرب؟» فكشفوا أمره فإذا هو في حشيش.

وحُكي عن بعضهم أنه خرج من عند زوجته ليشتري لها كبيبات مقليّة فبينما هو في الطريق إذ عثر ووقعتْ الشقفة فبينما هو في مكان به بعر جمال، فملأ الشقفة من البعر وجاء إلى زوجته وقال لها: «خذي مني!» فلما أخذت الشقفة منه وجدت الغالب بعر جمال، فقالت له «ما هذا كبيبات يا معثّر؟»، «هؤلاء بعيرات جمال!» فانتضح من وقته وفارقتْ من ساعته.

وحُكي عن بعض لطفائهم أنه دخل إلى زاوية فقراء فوجد الفتوح كثيراً والمأكل الطيبة، فقال في نفسه: أنا أعمل فقيراً عندهم، فأخذ الشيخ عليه العهد وأقام يومين يبلعها في الخفية وهو في خشوع والفتوح يتزايد، ثم بعد ذلك تناقص حتى إنه انقطع ولم يات شيء، وأقاموا على ذلك مدة حتى خرج من عقله وتزايد مرقه وفرغ عن الفقر وعن الشيخ وعن الزاوية، فاتفق أنه مات من بينهم فقير، فقدّموه للصلاة عليه فصلّى معهم وكبّر ثماني تكبيرات، ثم إنه راح إلى عند رأس الميت وجعل يوشوشه، فأنكر عليه الفقراء، وقالوا: «عليك إنكار من وجهين، أحدهما: أنك كبّرت ثماني تكبيرات، والثانية: أنك وشوشت الميت، وهذا بدعة سيئة». فقال: «اسمعوا يا فقراء، أما الأربع تكبيرات الزائدة فإنها للصلاة على نفسي فإني حسبت روحي من الأموات، وأما لوشوشته فإني قلت له: لا تستوحش إن لم يجئ فتوح اليوم وإلا أنا عندك غداً».

ومن قبيح ما حكاه عريقشة أنه تزوّج بامّ ولد فرأه بعض أصحابه ليلة العرس، فقالوا: «استعملْ هذه اللبابة - ولم يكن استعملها قبل ذلك - وإنك الليلة تنبسط بالعروسة»، فلمّا دخل عليها وقد غلب عليه النعاس فنام في الفرش، فاهتمّت العروسة لنومه فغطّته ثم أخذت تعرض على ولدها، فقالت له: «بلّ»، فدخلت في أذن النائم فبال إلى أن عوّم الفرش، فحرّكته، وقالت له «ما هذا؟»، فقال «احم»، فنبّهته فاستيقظ يجد غرق الفرش والثياب، فقال لها: «يا امرأة أعذريني فإن بعض الأصحاب قال لي استعمل هذه اللبابة ولم أكن عمري أعرفها فغيّبتْني ثم درت الدنيا في النوم، فجزت على فيضة الحاكم فدخلت الخلاء قضيت شغلي، وإذا بواحد طرق الباب فقلت له: احم، فانبهتيني فانتبهت وأنا بهذه الحالة»، فغفرت لي هذا الذنب واستمريت في صحبتها استعملها لكن على قدَي.

(راحة الأرواح في الحشيش والراح ـ تأليف: تقي الدين أبي التقى البدري الدمشقي)

■■■

* في ما جاء فيه من الشعر والنثر

ابن الاعمى الدمشقي:

دع الخمر واشربْ من مدامة حيدر
معتبرة خضراء تحكي الزبرجد
يعاطيكها ظبيٌ من الترك أغيد
يميس على غصن من البان أملد
فتحسبها في كفّه إذ يديرها
كرقم عذار فوق خدّ مورّد

وتشدو على أغصانها الورق بالضحى
فيطربها سجع الحمام المغرّد

- ابن الافساسي العلوي في الحشيشة ممزوجة بالعسل:

اتوني بها بصرية فاكلتُها
وقد عجنتْ بالشهد منذ ليال
مخمّرة يزري على الخمر طبعها
مهابتها بالسيف سيف أوال
سمتْ عن مقام الراح عندي لقولهم
حلال وشرب الراح غير حلال
فطوراً أرى الدنيا قصوراً وتارة
أراها أراضي والرياض حوالي

شاعر مجهول:

جفني غدا من الحشيش تالفاً
ومذ رماني الجفن من أعلى الدرج
قلت له أنتَ الذي أوقعتني
فقال لي «ليَس على الأَعْمَى حَرَج»

موّلف مصري مجهول

خذْ هذه اللبابة، واستعملها تجد البسط والمهابة، وتنفخ معدتك، وتزيل همّك وكربتك، فيأخذها العشير بهمّه، ويضعها في فمّه، ويسمّيها زيه، وهي المسرّة والتنزيه، وبنت الجراب لمن شطح وطاب، وتغني للأحباب وتقول للأصحاب: هي أحلى من الجلاّب، فمن نال منها بندقة، فتح فاه بالمشدقة، وطرب ومال، وبقي من البسط في حال، فرحم الله العشير، من فرحه يطير ، وينشد ويقول: هات نبت البقول، وغني وقول، إن كان لك معقول (من البسيط):

يا ذا الحشيشا الذي في الأرض مغروساً
تغني عن الخمر والخمّار يا موسى
ياما أكلناه معجوناً ومبسوساً
حتى رأينا الجمل في شبه ناموسى

في وصف ماركو بولو لجنّة الحشاشين

«هناك في واد مونق محصور بين جبلين شامخين، أنشأ شيخ الجبل بستاناً فاخراً وشيدت قصور متنوعة الأحجام والأشكال وزينت بزخارف من ذهب وملئت حجراتها بالصور الزاهية وبالأثاث المكسو بأفخم الدمقس والاستبرق واستُخدمت أنابيب صغيرة صممت في هذه المباني وبواسطتها كانت أنهار من الخمر ولبن وعسل وماء فرات تشاهد وهي تفيض في كل اتجاه، وكانت تسكن هذه القصور حوريات رشيقات جميلات دُرّبنَ حتّى اتقنّ جميع فنون الغناء واللعب على جميع أنواع الآلات الموسيقية والرقص كما اتقنّ بوجه خاص أفانين الغزل والإغراء والدلال... ولكي يحول دون أن يجد أحد سبيله بغير إذن منه الى ذلك الوادي الممتع، أمر بإنشاء حصن قوي عند مدخله وكان الدخول من خلاله الى الوادي عن طريق سرداب سري، وكان ذلك الأمير يجمع في بلاطه كذلك عدداً من الشبّان تتراوح أعدادهم بين الثانية عشرة والعشرين، يختارهم من بين سكان الجبال المجاورة ممن يبدون ميالاً الى المرانة والدربة العسكرية وتتجلّى فيهم صفة الشجاعة المقدامة. وجرت عادته بالتحدث إليهم في موضوع الجنّة التي بشّر بها النبي، كما كان يامر بإعطاء الأفيون لعشرة من هؤلاء الشبان، فإذا صرعهم النوم فاصبحوا نصف موتى امر بحملهم الى البستان فتصعق حواسهم من البهجة التي سبق وصفها ووجد كل واحد منهم نفسه محوطاً بأوانس فاتنات يغنين له ويلعبن بالآلات ويستهوين لبّه بالداعبة والعناق، ويقدّمن إليه أشهى اللحوم والخمور حتى يعتقد تماماً أنه في الفردوس وإذا غلبهم السكر والنعاس حملوا خارج البستان فيسالهم أين كانوا فيكون جوابهم: «في الفردوس بفضل عطف سموكم». وعندئذ يقول الشيخ مخاطباً لهم: «لقد وعَدنا رسول الله وكان وعده حقاً بان الجنّة يرثها عباد الله الصالحون الذين يذودون عن مولاهم»، فكان يرسلهم في الأمصار، ليقضي كل خصم نُحبّه على يد هؤلاء السفّاكين المدرّبين»

(رحلات ماركو بولو، الجزء الأول)

> رآه بعض أصحابه ليلة العرس، فقالوا: «استعملْ هذه اللبابة وإنك الليلة تنبسط بالعروسة»

ترجمة

أنطونيو تابوكي
فرناندو بيسوا والحنين إلى المستحيل

في خريف عام 1964، كان الإيطالي أنطونيو تابوكي (1943 - 2012) يدرس الفلسفة في باريس حين اكتشف، بالصدفة، نصاً مترجماً إلى الفرنسية بعنوان «دكان التبغ» لكاتب برتغالي غير معروف اسمه هو فرناندو بيسوا (1888 - 1935). كانت تلك هي المرة الأولى التي يسمع فيها بهذا الاسم. منذ ذلك اليوم لم يعد ذلك الاسم يفارقه قط. من أجله انكبّ على اللغة البرتغالية ليتعلمها فأتقنها وصار يكتب بها. صار تابوكي بالنسبة إلى بيسوا مثل ما كان عليه سانشو بانثا بالنسبة إلى دون كيشوته: يتبعه كظلّه. دخل تابوكي عالم الأدب من بوّابة بيسوا. بالنسبة إليه، لم يكن بيسوا مجرد كاتب كبير بل كان معلماً ومرشداً. ترجم تابوكي كل أعمال بيسوا. لم يترك شيئاً، كل كتاب، كل عبارة، كل جملة، كل كلمة. ولم يكتف بهذا، بل راح يكتب مقالات عن حياة بيسوا وكتبه ويُلقي محاضرات لشرح نصوص بيسوا ودرس أفكاره. بل إنه كتب نصاً قصصياً جميلاً بعنوان «الأيام الثلاثة الأخيرة لفرناندو بيسوا». على فراش الموت، يستقبل بيسوا أنداده من الكتّاب، الذين كان صنعهم بنفسه، ليتبادل وإياهم الكلمات الأخيرة.

والمقال الحالي، الذي أصدره تابوكي باللغة الفرنسية بعنوان «الحنين إلى الممكن» هو واحد من أربع محاضرات ألقاها في «المعهد العالي للدراسات الاجتماعية» في باريس. يحاول تابوكي في هذا المقال أن يبين إلى أي حدّ كان بيسوا يعبّر عن دخيلة الإنسان المعاصر. كان مهووساً بالعلاقة التي تربط الإنسان بالزمن وذلك الانشداد النوستالجي ليس لما مضى وانصرم فحسب، بل لما هو ماثل في اللحظة الحاضرة أيضاً. فالحاضر ليس إلا ماضياً مؤجلاً. ومسألة الحنين لديه لا تكمن في البحث عن الزمن الماضي، بل عن الزمن الحاضر. إنه حنين ليس إلى ما كان بل إلى ما كان يمكن أن يكون.

ترجمة وتقديم نزار أغري

الحنين وحكاية الحقيقة

رغم أنه توفي عام 1935، فإن فرناندو بيسوا لم يخطُ بالشهرة على نطاق واسع إلا منذ بضع سنوات. هذا ما يشير إليه الإقبال على ترجمة أعماله إلى أكثر من عشرين لغة أوروبية وغير أوروبية. إذا كان بالإمكان التعرّف إلى أهمية عمل أدبي من خلال عدد القرّاء في بلدان ذات ثقافات مختلفة، فإن في وسعنا القول اليوم ان بيسوا كاتب عالمي. على غرار سيرفانتس وشكسبير ودوستويفسكي فإن بيسوا يحمل رسالة عالمية: أفكاره «أندوكسا»، أي أنها، حسب أرسطو، مفاهيم صالحة للجميع وفي كل مكان.

يجب أن نورد هنا مقولة رومان ياكبسون: «ينبغي إدراج اسم فرناندو بيسوا في قائمة أسماء العظماء من المبدعين العالميين الذي وُلدوا خلال سنوات الثمانينات (من القرن التاسع عشر): ستراڤينسكي، بيكاسو، جويس، براك، خليبنيكوف ولوكوربوسييه. كل السمات النموذجية لهذه المجموعة إنما تتجسد في الشاعر البرتغالي. إن القدرة الخارقة لهؤلاء في التقلب بشكل دائم على عاداتهم والموهبة المنقطعة النظير في تمثل وإعادة صياغة كل تقليد قديم، كل نموذج غريب، من دون التفريط بالفرادة الشخصية المتجسدة في التعدّد الصوتي المدهش للإبداعات الجديدة التي يجترحونها دوماً، إنما ترتبط بالحس الفريد إزاء التوتر الديالكتيكي بين الجزء والكل كما بين الأطراف المرتبطة في ما بينها ولا سيما في ما يتعلق بطرفي كل علامة فنية، أي الدال والمدلول».

يبدو لي أن ياكوبسون، من منطلقه البنيوي، يحاول ببساطة أن يُنشئ «بنية تناصية» حول بيسوا، فيستدعي تناظرات اعتباطية وغامضة إلى حد ما. (في وسعنا أن نتساءل عن السمة المشتركة بين بيسوا ولوكوربوسييه). ونتيجة لهذا فإن الحدس بوجود «كلّ موحد» يجمع بين الدال والمدلول يمس، ولو بطريقة «انطباعية» غريبة عن المنهج البنيوي، طبيعة الأندوكسا عند بيسوا: الشكل الذي ترتديه عملية الأسماء المستعارة (أي «الدال»، إذا شئنا القول) هو بحد ذاته مضمونه (أي «المدلول»، إذا شئنا القول).

ولكن مِمَّ تتشكل الأندوكسا في الرسالة الأدبية الكونية لبيسوا؟ تنتمي هذه الأندوكسا بشكل عام إلى فضاء المحتوى، أي «المدلول»: الحب، الموت، الخيانة، السعادة. هذه مواضيع كونية وهي تشكّل، في ميدان التواصل الأدبي، مضامين هذا التواصل. وكمثال على ذلك فإن موضوع «دون كيشوته»، كما هو شائع، هو اليوتوبيا، وموضوع مسرحيات شكسبير هو شرور النفس، وموضوع روايات دوستويفسكي هو الجريمة والعقاب والندم.

ولكن في ما وراء مضامين نصوص بيسوا، والتي يمكن بسهولة تقصّي مواضيع كونية فيها (الشعور بعبثية الحياة، الحنين، الإحساس بغموض الحياة... الخ)، اعتقد أن في وسعنا أن نجد كونية رسالته لا في هذه المضامين بل في الطريقة التي يكشف فيها عن هذه الرسالة، في تعبيره عنها. هذه الصياغة هي ما يسمّيها الاستعارة الاسمية. وكما سنرى فإن هذا الشيء لا يقوم فقط في النموذج الشكلي بل هو يستجيب لمفهوم المضمون نفسه.

ولكن ما هي الاستعارة الاسمية، هذا الاكتشاف الذي عبّر عنه بيسوا في نص أدبي في 8 آذار عام 1914؟ فبمَ تقوم هذه الطريقة العبقرية في الركون إلى الأدب لحلّ مشكلة تعدد الصوت للروح البشرية؟ لنصغ إلى ما يقوله بيسوا في هذا الصدد:

«صغيراً كنت أميل إلى إحاطة نفسي بعالم متخيّل، بأصدقاء ومعارف لا وجود لهم. (بالطبع لا أعرف ما إذا كانوا هم غير موجودين بالفعل أو أنني أنا غير موجود. في أشياء كهذه، كما في كل شيء آخر، ينبغي ألا يكون المرء مؤغماتياً). منذ أن تعرفت إلى نفسي بالشكل الذي أسمي به نفسي أتذكر أنني أحمل في روحي وجه وملامح وطباع وتاريخ أكثر من شخصية غير حقيقية كانت بالنسبة إليّ مرئية ومنتمية إليّ بنفس القدر الذي عليه إلى أي شيء آخر مما نسميه، ربما نتيجة سوء فهم، الواقع الفعلي. هذا النزوع، الذي ترسّخ عندي منذ وقت مبكر من كينونتي بما أنا عليه، ظل يرافقني على الدوام. قد يعمد مثلاً إلى تعديل الموسيقى التي تبهرني ولكن ليس أبداً الطريقة التي تبهرني بها. أنا أتذكر، مثلاً، ذلك الشخص الذي حمل اسمي المستعار الأوّل أو بالأحرى ارتباطي غير الحقيقي الأول، وهو نبيل من باس: كنت في السادسة من عمري. أخذت أكتب رسائل إليه وما زالت صورته، الواضحة إلى حد ما، تمس جانباً من الحنين الذي يقبع في داخلي. أتذكر، ولكن ليس بدقة تامة، شخصاً آخر يفوتني اسمه، الغريب هو الآخر، وكان، لسبب أجهله، غريماً لنبيل باس (...). أشياء تحصل لدى الأطفال؟ بالتأكيد، أو ربما. غير أنني عايشتها وما زلت أعايشها فأنا أستحضرها وأحتاج إلى جهد كبير كي أقنع نفسي بأن هذه الشخصيات لم تكن حقيقية».

يعود هذا الاعتراف المسهب إلى عام 1935، وهو ورد في رسالته الشهيرة التي كتبها في 13 كانون الثاني حول أصل الأسماء المستعارة ردأ على سؤال حول هذا الأمر كان طرحه عليه الناقد لودلفو كاسابيس مونتيرو. هذه الصياغة الشعرية لا تختلف بشكل كبير عن الملاحظات المتعلّقة بالقضايا ذاتها التي انشغل بها بيسوا طوال حياته والتي دوّنها في يومياته. لهذا أعتقد أن من الممكن اعتبار هذه الصياغة الشعرية «شعرية حقيقية»، وأتابع القراءة: «هذا الميل إلى إحاطة نفسي بعالم آخر، موازٍ لهذا العالم ولكن يسكنه ناس آخرون، لم يبرح خيالي قط. وهو مرّ بمراحل مختلفة، بما فيها هذه المرحلة، أي بلغت سنّ الرشد. كانت تأتيني أحياناً فكرة، غريبة عن الفكرة، وكان ذلك في 8 آذار 1914، اقتربت من منضدة صغيرة وتناولت ورقة شرعت في الكتابة واقفاً، كما هو دأبي كلما سنحت لي الفرصة. كتبت أكثر من ثلاثين قصيدة دفعة واحدة، في نوع من الهذيان يصعب عليّ أن أحدد طبيعته. كان يوماً مظفراً في حياتي لم أعش مثله قط. في البدء ظهر العنوان: «حارس مشاعر شكسبير. هذه الشخصيات هي شخصيات متخيّلة إذاً، غير أن المشاعر التي تنتابها هي مشاعر «حقيقية»، أي أنها تنتمي إلى حقيقة رمزية، أي أنها تملك حقيقة كونية.

> **مسألة الحنين لديه لا تكمن في البحث عن الزمن الماضي، بل عن الزمن الحاضر**

وصف بيسوا وضع التخيّل الواقعي هذا وبرّره نظرياً في القصيدة الشهيرة، «النفسانية الذاتية»: «التصنّع هو لب الشاعر/ لأنه يتصنّع بشكل متقنٍ/ بحيث يتحول التصنع إلى ألم/ الألم الذي يهرب منه حقاً».

لنتمعن في ما يقوله بيسوا. يخضع الشاعر لعاطفة. وفي اللحظة التي يقرر فيها أن يعبر عنها من خلال الأدب، الذي هو شكل من أشكال التخييل، فإنه مضطر، بهذا الشكل أو ذاك، لأن يتظاهر كما لو أن الأمر يتعلق بعاطفة حقيقية. في هذه النقطة نصل إلى المرحلة الثالثة، مرحلة المتلقي: ذاك الذي يتلقّى الرسالة ويدرك معنى العاطفة التي يجري الحديث عنها، ولكنه، وبقوة الأشياء، غير قادر على أن يشعر بالعاطفة نفسها (سواء كانت صادقة أم مزيفة) التي يتم ضخّها فيه. من خلال العاطفة التي تأتي إليه عبر المخيلة فإنه يتصنع، من جهته، عاطفة أخرى.

حتى الآن كان في وسعنا الحديث عن شخصيات. غير أن بيسوا، عبر اجتراح أسمائه المستعارة، ترك وراءه صنيعاً معقداً. في الواقع فإن شخصيات بيسوا ليست شخصيات عادية لها تاريخ، بل هي شخصيات يتوجب عليها أن تتظاهر بأن لها تاريخاً. إنها مخلوقات خالقة، شعراء، أي مخلوقات متخيلة تقوم، بدورها، باجتراح الأدب.

هذه المخلوقات المتخيّلة وهذا الأدب المجترَح وأخيراً هذه الخصوصية القائمة على الحقيقة المزدوجة لبيسوا، تنهض، كما رأينا، على مفاهيم مقبولة من جميع الناس، أي مفاهيم كونية، أندوكسات.

من بين المفاهيم الكونية التي تتخلّل أعمال بيسوا أريد التركيز على مفهوم يتردد بشكل مبالغ فيه وينطوي، في الوقت نفسه، على قدر كبير من المعاني والدلالات، في أعمال الشاعر: الحنين.

إذا تقصّينا مفردة الحنين في القاموس الكبير في اللغة البرتغالية، لوموراييس، نجد معناها على هذا النحو: «الرغبة العميقة في العودة لرؤية بلد أو شخص أو شيء كان مصدر سرور لنا».

هذا بالطبع تعريف قاموسي، غير أنه يعطي معنى مفردة الحنين بشكل تام. ما يحنّ إليه المرء هو ما لا يمكن استعادته كما قال فلاديمير جانكليفيتش، أي أنه شيء على علاقة بالماضي. وهذا الماضي، ولا سيما في ما يتعلق بالزمن، هو في الغالب ما لا يمكن استعادته بالمطلق. في وسعنا أن نزور الأماكن التي سبق أن زرناها، وفي وسعنا أن نلتقي بالأشخاص الذين سبق أن التقينا بهم، ولكن ليس في مقدورنا البتة أن نستعيد اللحظة التي التقينا فيها بهم.

يتعلق الحنين إذن بفكرة أولية نحملها في دواخلنا: الحياة لا تتكرّر أبداً. كل اللحظات، كل الأعمال، كل التصرفات، باختصار كل ما يجعلنا نعيش، لا يحدث سوى مرة واحدة، ولن يتكرر أبداً.

من الجليّ أن الأدب حاول على مرّ الأزمان الدخول إلى هذا المكان الرمزي، أي فكرة أن الزمن لا يستعاد. وهذا هو الحال في بعض أقوى قصائد بيسوا. غير أنّ أختلافاً جوهرياً يقوم بين الشعراء الذين يعيشون داخل بيسوا والشعراء العامين: الشخصيات المستعارة لبيسوا ليست دياكرونية بل هي سينكرونية، أي أنها، كلها وبشكل حصري، تعيش في اللحظة التي يُكتب فيها الشعر. وفي الواقع فإن التعريف الذي سنّه أوكتافيو بات ينطبق عليهم بقدر ما ينطبق على الآخرين: «ليست للشعراء سيرة حياة، قصائدهم هي سيرة حياتهم». داخل كل شخص منّا ثمة الفكرة التي تحدثنا عنها توّاً: الحياة لا تتكرر. ومع هذا فنحن نتصرف كما لو أن هذه الفكرة لا تعني شيئاً، لأننا إن فكّرنا بها ونحن نمارس العيش فإن الحياة سوف تتحول إلى حنين متناقض مع نفسه: الحنين إلى الحاضر.

والحال أن شخصيات بيسوا، التي تمارس الكتابة، تكتب وتعيش بالضبط لأنها تكتب فهي لا تعيش إلا في الحاضر، أي زمن الكتابة، تحمل في داخلها هذا الحنين المتناقض: الحنين إلى الحاضر.

إن الشخصيات المستعارة تعرف، أكثر من أي مخلوق يعرف أنه زائل وفانٍ، أن حياتها هشة وإن لم تصرح بذلك. حياتها قائمة على الخيال ودمها هو حبر. حياتها تمضي على الورق لا أكثر ولا يتطلب الأمر أكثر من نقطة أو فاصلة لكي تغلق فمها. في أي لحظة يمكن أن تسقط في هاوية بياض الصفحة.

9

أنا لستُ أنا

ترجمة وتقديم **سعيد الباز**

الشاعر البرتغالي فرناندو بيسوا (1888-1935) الذي استطاع أن يكتب بأسماء عديدة، اتخذها بديلاً عنه من البرتو كايرو والفارو دو كامبوس وبرناردو سواريش... ولم يخصّ نفسه إلّا بعمل واحد ونصوص متفرقة، ويُعدّ ظاهرة أدبية غريبة، ظلّ مشغولاً بالتفكير في ذاته الهائمة في مدينته لشبونة. كان بإمكانه أن يكون كلاسيكياً ورمزياً ومستقبلياً وسوريالياً، أن يكتب بالإنكليزية والفرنسية والبرتغالية، وأن يترك جلّ أعماله مخطوطاً في حقيبته المشهورة كي تُنشر بعد وفاته. من أعماله النثرية التي رأت النور وحازت شهرة كبيرة «كتاب اللامطمئنة»، وبعدها الكثير من الأعمال الأخرى كرواياته القصيرة «المصرفي الفوضوي» وروايته البوليسية Quaresma، و«يوميات الحياة العابرة» Erostratus، النصان التاليان مقتطفان من أعماله النثرية.

1. المصرفي الفوضوي

كنت قد انتهيتا من العشاء. أمامي صديقي المصرفي، التاجر والمحتكر المعروف بدخن في ذهول. الحوار بيننا كان مُشرفاً على الموت وفي النزع الأخير، وميتاً الآن. كنت أبحث عن وسيلة لإحيائه فأمسكت عشوائياً بأوّل فكرة خطرت في بالي. التفتُّ إليه مبتسماً:

- بالمناسبة، قبل لي يوماً بأنّك في الماضي كنت فوضوياً.

- بأنّي كنت فوضوياً. لا كنت وما زلت فوضوياً. ولم أتغيّر بخصوص هذه النقطة. أنا فوضوي.

- يا لها من فكرة جيّدة هذه! أنت فوضوي؟ في ماذا إذن أنت فوضوي؟ إلّا إذا كنت تعطي لهذه الكلمة معنى مختلفاً.

- مختلف عن المعنى العادي؟ لا، على الإطلاق. إنّي آخذ هذه الكلمة بمعناها الأكثر ابتذالاً.

- إذاً أنت تريد أن تقول بأنّك فوضوي بالمعنى الذي عليه الفوضويون هؤلاء الأشخاص الذين نراهم في المنظمات العالمية؟ وأنّ بينك وهؤلاء الأشخاص، بقنابلهم ونقاباتهم، ليس ثمة في الحقيقة أيّ فرق؟

- في كل الأحوال، ثمّة بالتأكيد اختلافات. الاختلافات ليست هناك حيث تعتقد. ربّما تعتقد بأنّ نظرياتي الاجتماعية ليست مشابهة لهم؟

- آه، أرى ذلك؟ أنت فوضوي نظرياً. لكن في الممارسة.

- في الممارسة أنا فوضوي بالقدر نفسه الذي أنا عليه نظرياً. وفيما يتعلّق بالممارسة فهي بمقدار أكثر. لكن أكثر من كلّ أولئك الأشخاص الذين ذكرتهم. وعلاوة على ذلك حياتي كلّها تثبت ذلك.

- هاه؟

- نعم. حياتي كلّها تثبت ذلك. في الواقع لم تنظر أبداً بوضوح إلى المسألة. لهذا السبب لديك شعور بأنّ ما أقوله محض حماقة أو أنّي أهذرُ منك.

- عزيزي لم أعد أفهم في الأمر شيئاً. أو إذن... إن تتصور حياتك منحلّة ومعادية للمجتمع، وهذا هو المعنى الذي تحدّده للفوضوية.

- لقد قلت لك سابقاً، لا. باختصار قلت لك مراراً وتكراراً بأنني لم أضف على هذه الكلمة معنى مختلفاً لما جرت به العادة.

- حسناً، حسناً.. لكنّي ما زلت لا أفهم شيئاً. في نهاية المطاف، عزيزي، تريد أن تقول بأن لا وجود لأيّ فرق بين نظرياتك الخاصّة، الفوضوية حقيقة، ووضعها موضع التطبيق في حياتك، حياتك كما هي عليه اليوم؟ أتريد منّي أن أعتقد بأنّك تعيش حياة شبيهة تماماً بأولئك الناس الذين ندعوهم عادة فوضويين؟

- كلّا. لا يتعلّق الأمر بذلك، ما أريد قوله، هو أن لا تعارض بين نظرياتي وممارستي اليومية. بل، على العكس تماماً، تطابق تام. ألّا أعيش نفس حياة هؤلاء الأشخاص المغرمين بالقنابل والنقابات، هذا مؤكّد. لكن حياتهم هي التي تتناقض مع الفوضوية والمثل العليا الخاصة بهم. وليست حياتي. إنّ بداخلي – أجل بداخلي أنا المصرفيّ، التاجر الكبير، والانتهازي إن شئت - تندمج النظرية والممارسة وتجد التعبير الأكمل عنهما. لقد قارنتني بهؤلاء الحمقى، هواة القنابل والنقابات لكي تظهر لي إلى أيّ حد أنا مختلف عنهم. أنا بالطبع كذلك. الفرق بيننا أنّهم من ليسوا فوضويين إلا نظرياً، أنا فوضوي في النظرية وفي الممارسة. هم فوضويون وأغبياء، أنا أنا فوضوي وذكي. بتعبير آخر يا صديقي، أنا هو الفوضوي الحقيقي. هؤلاء الناس بقنابلهم ونقاباتهم (لقد كنت مظلهم وتخلّصت من ذلك وهذا بالضبط بسبب فوضويتي الحقيقية جداً) هؤلاء الناس هم حثالة الفوضوية، الإنتاج المقزّمات للعقيدة التحررية.

2. لست أحداً

لست أحداً، وقد انتبهت إلى ذلك ولأوّل مرة اليوم. لا أحد مطلقاً، وأمامي مديني ولا أرى سوى أرض منبسطة، وهي مهجورة وليست ثمّة سماء. أنا كلّ ما ليس موجوداً، ولم يكن أبداً قد وُجد. ولست حتّى شخصية من كتاب. هل أطوف في حلم شخص آخر؟ إذا لم أكن أحداً، فإنّي ما زلت أفكّ وأفكّر دونما توقّف، لكنّه ضباب، اضطراب دون إحساس، مثل كابوس، أسقط في حفرة سوداء، سقطة بلا اتّجاه، سقطة لا نهائية وفارغة. روحي عدم دائم، حائمة في محيط بلا أفق، والمياه كلّها تعكّر صور ما رأت وسمعت في المنازل، لكنّها أيضاً وعلى حدّ سواء الوجوه والكتب والموسيقى، وأنا الآن مركز كلّ هذا، مركز غير موجود، إلّا من هندسة الهاوية هاته، والتي تدور من أجل أن تدور، ولا شيء أكثر من دائرة كروية أو بئر. رجل زعم: «أنا أفكر إذن، أنا موجود» هذا شأنه! أنا أفكّر، وهذا ما قد حطّمني بقوّة، وشرّحني دون جدوى: أنا تعددت والكلّ، كلّ ما يدور حولي، يستعد لغاية الولوج به إلى مسرح، هو بداخلي أنا، وأتنبّه له مثل حنيني وياسي. في كلّ حدث أنا آخر، أتجدّد في الألم، وأحيا بأحاسيس ليست ملكاً لي.

تبدّدت وهنا تعرّفت على نفسي. خلقت في ذاتي العديد من الشخصيات، أخلقها في كلّ حين ودون توقف. لقد ازدوجت شخصيتي كما يجيد ممثل صنيعه على شاشاته السينمائية. لكي أكون دمّرت ذاتي، ملغوماً ومتآكلاً إلى حدّ أنّي الآن وبصدق لا أحد.

في المدينة لست إلّا مساعدَ محاسب والمفارقة لا تزعجني، بل بالعكس أنا في حاجة إليها وتجعلني أحيا وأرفع رأسي عالياً. مغموراً من لدن الجميع أشعر بنفسي عظيماً وهذا يرفعني إلى مصافّ الأخيار.

جالساً على طاولتي، وحيداً في الغرفة أواصل كتابة كلمات. هل ستكون خلاص روحي؟ أن تحيا هي أن تكون آخر يتجدّد في كلّ لحظة، وأن تتكرّر هي أن تكون شيئاً غير مثير للاهتمام.

أن تغسل ذاكرتك في كلّ الصباحات، أن تمحو كلّ شيء لتجد نفسك جديداً عذرياً هذا هو المثال، وأن تعيد في كلّ لحظة اكتشاف ألوان الأشياء وأشكالها، أن تعيد اكتشاف الزمن ثانية بعد ثانية، الصوت ومذاق الأشياء، كما في المرّة الأولى، فغداً لن يشغلني إنّه يوم آخر.

أرى مسافراً منحنياً في باص يسير من نقطة إلى أخرى في المدينة، السماء ذات ضوء كئيب، بيد أنّها تكشف عن الطيور البيضاء الهائجة، ولم أشعر، كما هو معتاد في عظامي، بقدوم العاصفة. كان عليها أن تقصف في الجانب الآخر من الضفة في أسفل المدينة. عندما يكون الجو هكذا، يتّجه فكري إلى التائل الفارغ كاشفاً عنّي كما أنا في عزلتي في هذا الغور المعتم المعروف لدى الشعراء، دون أن أدري كيف أنّ روحي تتذكر جوّاً آخر.

خارج الكلّ من بين هذه الصور الواضحة والحزينة طبعاً، منظر لبطّ وحشيّ. لديّ انطباع فظيع بأنّي لابد واحد منها، وثمّة صيادون أراهم فأجزع لأن أحراش قصب تمنعني من المشيّ. السماء أخيراً تفرغ من سحبها الرمادية والمليئة، فألقي نظرة على الضفة الأخرى، تلك التي أوجد بها. هناك لا أحد، ولن يكون ثمة أبداً أحد. وإذا كان بإمكاني الهروب من ذلك المنظر، فسأقضي وقتي في الانتظار، وسيقبل حتماً الليل.

فجأة أحسّ ببرد عميق يخترق جسدي...

كلّ واحد منّا يعتقد بأنّه وحده متفرّدٌ بأصالة شخصه، أريد أن أقول في علاقته بالآخرين. هؤلاء الآخرون ما أصعبهم في الواقع ! نصل إلى القول بأنّهم ليسوا مثلنا، إنّهم مختلفون. لكن في ماذا؟ هذا وسواسي وكم هو فظيع معايشته... عندما أراهم يتصرّفون أتحقّق من أنّهم يشبهونني في كلّ شيء، وهذا الأمر ليس في صالحي. إنّهم أشباهي، وهذه حقيقة الحياة، ولا أنازعها البتة. هذا الإحساس يستمرّ حتّى في الكتب المقرّرة، والصور المرئية والأحلام اليومية... في الواقع والاختصار، هناك الآخرون وثمّ هناك أنا. إنّهما عالمان اثنان.

Fernando Pessoa, Proses, traduites par Simone Biberfeld, Dominique Touati et Joaquim Vital, Editions de la différence, Paris, 1988.

دراسة

ربيع محمود ربيع: البداوة في مواجهة المدينة «المخنّثة»

في «القبيلة والنّص: تحوّلات البداوة في الرواية العربية» (وزارة الثقافة ــ عمّان) يضيء الناقد الأردني على صورة الشخصية البدوية، وفقاً لحضورها في جغرافيات شبه الجزيرة العربية، ومصر، وبلاد الشام، بالاتكاء على أعمال غالب هلسا (زنوج وبدو وفلاحون)، ومحمود شقير (فرس العائلة)، ومحمدي أبو جليل (الفاعل)، ويوسف المحيميد (فخاخ الرائحة)، وإشارات عابرة إلى أعمال عبد الرحمن منيف، وإبراهيم الكوني، وميرال الطحاوي، وآخرين. تتبدى أصالة هذه القراءات في فحصها للمعجم البدوي في ما يخصّ الغزو والترحال، وأحوال قطّاع الطرق، والصدام بين البدو والحضر، ثم التحوّل القسري للبدو بسبب بطش الدولة الحديثة للقبائل البدوية عن طريق التعليم وسيادة القانون. يرصد الناقد الأردني أسباب التحوّلات التي طرأت على البداوة، كما يرسم صورة مكتملة للشخصية البدوية قبل وبعد انخراطها في مكوّنات المجتمع الجديد، وكذلك الاشتباكات الزمنية بين البدوي والمكان، ومدى تأثير البداوة في تشكيل النصّ البدوي وبنائه، وإمكانية تأسيس رواية تعتمد البداوة كبنية نصيّة، بدلاً من المدينة التي تُعد بمثابة البنية شبه الثابتة للرواية، وصولاً إلى قدرة الرواية على أن تكون سجلاً لحياة القبيلة والمعبّر عن هويتها.

هكذا تأتي مفردة الغزو بوصفها ملمحاً مركزياً في شخصية البدوي، الشخصية التي ترى في الخضوع عاراً، ذلك أن الدولة الحديثة في نظر البدوي هي نظام إذلال وجبايـة، فالحقوق تحميها القوة والسيف، وتحرسها القبيلة لا الدولة. ففي رواية «الفاعل» لحمدي أبو جليل، سيستبعد محمد علي باشا البدو من الخدمة في جيشه خوفاً من ولائهم القديم للمماليك، ومن عدم استعدادهم للانتظام في جيش حديث يتوجه بولائه للدولة لا للقبيلة. وفي «فرس العائلة» لمحمود شقير، يرفض الشيخ محمد تسليم شباب العشيرة للضابط العثماني للمشاركة في قتال الإنكليز دفاعاً عن القدس. وستشهد حياة البدو تحولات واضحة مع استكمال الدولة أركانها، في القرن العشرين، ما يضطرهم إلى العمل في مهن كانوا ـ حتى وقت قريب ـ يحتقرونها، لمصلحة السلب والنهب والاستحواذ لا الإنتاج. كما ستختل صورة الشجاعة والكرامة، بالدخول في تحالفات مع الدولة بهدف تحقيق مصالح القبيلة. كان البدو في «فرس العائلة» يتمسكون بالمثل القائل «لا تمرّ قدام حاكم ولا من ورا بغل». إلا أنهم سيضطرون لاحقاً إلى العمل في بناء قصر المندوب السامي الإنكليزي في القدس، كما سيصاهرون الحضر، ويتخلّون عن فظاظتهم في العلاقة مع المرأة. لكن المدينة ستبقى متاهة وحالة ضياع، كما في «فخاخ الرائحة».

في محور آخر يتناول ربيع محمود ربيع علاقة البدوي بالمكان الصحراوي، فهو لا يعترف بالحدود أو الأسوار، إنما ينتمي إلى الصحراء بمطلقها، وفي رأي ثان، يحمل البدوي وطنه ـ قبيلته ـ أينما وجد الماء والمرعى. ذلك أن علاقته بالمكان غير محكومة بالعواطف والمشاعر بقدر ما هي محكومة بخيار الحياة أو الموت. ورغم اندماجه الراهن بالقيم المدينية، إلا أن البدوي ما زال يحتفظ بنظرته القديمة إلى المدينة باعتبارها كائناً مخنّثاً. ويميّز الباحث المفاصل الأساسية التي تحكم علاقة البدوي بالمكان، تبعاً لورودها في الروايات المذكورة، وفي مقدمها «البئر والنبع» لتحصيل الماء ليس للارتواء فحسب، إنما سترافقه طقوس الخصب وفرص الزواج وصولاً إلى الارتواء الجنسي، كما لدى غالب هلسا. وستقع مهيوبة في شغف الشيخ عبد الله به في «فرس العائلة»: «منذ رأته عند بئر الماء، اندلعت في قلبها رغبة جامحة، وقالت لنفسها هذا هو». دلالة الماء لدى البدوي إذاً، تحيل إلى القوة والخصب من جهة، والخوف من الجفاف من جهة أخرى، وقد يؤدي الصراع حول الماء إلى القتل. ويتساءل الناقد: هل يحق لنا إطلاق صفة الآلفة على خيمة البدوي، باشلار للبيت؟ ذلك أن خيمة البدوي لا تتمتع بادئنى مواصفات البيت، فهي مجرد قطعة نسيج مستطيلة من شعر الماعز مرفوعة عن الأرض بأوتاد، لكن تقسيمها الداخلي على هيئة مضافة للرجال ومحرم للنساء ينطوي على نمط تفكير ذكوري يضع النساء في مقام أدنى بصرف النظر عن صفات النخوة والشهامة والكرم التي يتمتع بها البدوي في مضارب قبيلته، فهو قاطع طريق خارجها وصاحب مروءة داخلها، وهذا ما تشتغل عليه روايتا «الفاعل»، و«فخاخ الرائحة». المفصل الثالث الذي يتحكّم في الشخصية البدوية هو الزمن الدائري الذي ينفي التتابع الخطي للزمن بإعادة إنتاج وتكرار الزمن نفسه لجهة العصبية القبلية، والتمثّل بقيم الأسلاف، إلا أن تطوّر الدولة الحديثة وقدرتها على ضرب القبائل، كسرا نزعة المغالبة عند البدو، ما أدى إلى تغيّر علاقة البدوي بالمكان وميله إلى الاستقرار عند تخوم المدن، وتالياً تغيّر إحساسه بمعنى الوطن، مثلما حدث للأجيال الجديدة من عشيرة العبد اللات في «فرس العائلة».

وهذا ما سيؤدي إلى «انكسار الزمن الدوري»، من دون التخلي عن فكرة «تخنيث المدينة» من جهة، والانخراط بأحلام اليقظة بخصوص المكان المفتقد، من مسرب آخر. وتكمن خصوصية الرواية التي ترصد البداوة، وفقاً لهذه الأطروحة، بالتمرّد على الشكل المديني للسرد، من دون أن تفقد حداثتها، إذ تتخذ رواية «الفاعل» شكل الخيمة لجهة الخشونة وعدم المراوغة في المكاشفة، بتحطيم مبدأ الإيهام بالواقعية، والترحال بين واقعة وأخرى، فيما سيعتني يوسف المحيميد في «فخاخ الرائحة» بفكرتي «الموت أو الاندماج» في ظل الدولة الحديثة والقبول بالتشوهات التي ستطال روح البداوة، و«طمس الهوية البدوية تحت راية الهوية الوطنية»، داعياً إلى «إنصاف الهوية البدوية المهمشة وتحريرها من جور الشعارات».

كان عبد الرحمن منيف في روايته الملحمية «مدن الملح» قد حكم على المدن التي بنيت فوق رمال الصحراء بالدوبان، منتصراً لنداء «متعب الهذال» إحدى أكثر الشخصيات البدوية رسوخاً في الذاكرة الروائية العربية، بانتقالها من الهامش إلى المتن.

عبد الرحمن منيف حكم على المدن التي بنيت فوق رمال الصحراء بالذوبان

خليل صويلح

لمحات

خالدة سعيد

تعود الناقدة خالدة سعيد بمؤلف جديد تستكمل فيه ما بدأته في كتابها «يوتوبيا المدينة المثقفة» (2011) الذي خصّصته لمؤسسات ثقافيّة طليعيّة في بيروت. «فضاءات: يوتوبيا المدينة المثقفة II»، الذي يصدر قريباً عن دار الساقي»، يلقي الضوء على سبعة وثلاثين كاتباً وفناناً لبنانياً مثل فيروز، ويمنى العيد، وعبد الله العلايلي، وغسان تويني، وهلن الخال وجورج شحادة وآخرين. الناقدة السورية التي رافقت العصر الذهبي لحداثة المسرح والشعر والفن في بيروت، تقدّم قراءة نقديّة لهذه التجارب الثقافيّة المتنوّعة، موثّقة فيها لغنى الوسط الثقافي اللبناني.

جهاد حلو

دفعت النكسة حنّا ميخائيل (1935 – 1976) إلى العودة من واشنطن حيث كان يعمل مدرّساً في الجامعة. للالتحاق بالثورة الفلسطينية. وبعد سنوات طويلة من العمل النضالي الفكري والسياسي، اختفى مع آخرين عام 1976 في قارب كان يقلّهم من بيروت إلى طرابلس. كتاب «غيْب فازداد حضوراً» (الأهلية) يستعيد حياة هذا المناضل الفلسطيني، بقلم شريكته جهان حلو التي أعدّت الكتاب وجمعت شهادات من رفاقه في الثورة، ومقالات كتبت عنه، وأفكاره، وبعضاً من محاضراته، إضافة إلى رواية دقيقة لرحلة البحث عنه وعن رفاقه الغائبين.

علي غصن

بأسلوب جديد في مقاربة الاجتهاد، يضع المحامي والأستاذ في كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية علي غصن رجال القانون أمام عدد من الأسئلة الدقيقة في الموجبات والعقود والقانون التجاري في كتابه اللذين صدرا أخيراً بعنوان «300 سؤال وجواب في الموجبات والعقود»، و«313 سؤالاً وجواباً في القضايا التجارية». ويعدّ المؤلّفان مرجعين أساسيّين لطلاب كليات الحقوق، وللمتقدمين إلى امتحانات دخول نقابة المحامين ومعهد الدروس القضائية، وللمحامين الممارسين للمهنة، ويتيحان البحث في الفهرس عن المبتغى من الأسئلة حول الموضوع المطلوب.

حسين رحّال

«إشكاليات التجديد الإسلامي المعاصر: شمس الدين – الترابي – الغنوشي نموذجاً» (دار الأمير) هو في الأصل عنوان أطروحة دكتوراه للأكاديمي حسين رحّال. يقدّم رحّال قراءة لمسار التجديد الإسلامي في أواخر القرن العشرين انطلاقاً من تجارب ثلاثة مفكّرين هم الشيخ محمد مهدي شمس الدين، والدكتور حسن الترابي، والشيخ راشد الغنوشي. أما قراءته فتركّز على السوسيولوجي والمعرفي في الخطاب الإسلامي المعاصر بالاستناد إلى «منهج جديد وفقاً لتطوّر الفكر الإسلامي بالتجانس مع تفاعله الاجتماعي، وتحوّلات المجتمعات الإسلاميّة».

شادي لويس

بعد عام على إصدار باكورته الروائية «طرق الرب»، أبصرت الرواية الثانية لشادي لويس «على خط غرينتش» النور أخيراً عن «دار المتن للنشر والتوزيع» (القاهرة). هناك ثيمات أساسيّة تخيّم على رواية الكاتب المصري، التي تتبع موظفاً يعمل في إحدى بلديّات شرق لندن. اللجوء، والانتظار والموت، سترافقنا طوال صفحات الرواية. منذ البداية، يجد الراوي نفسه مسؤولاً عن جثّة شاب سوري ترقد في أحد مستشفيات المدينة. سيجول في أحياء لندن، وفي أزقّتها وبين مبانيها، في محاولة لمعرفة هويّة صاحب الجثّة من أجل إقامة جنازة له.

لودفيغ فتغنشتاين

كتب لودفيغ فتغنشتاين (1889 – 1951) مؤلّفه «في اليقين» خلال مرضه في السنة الأخيرة من حياته. المؤلّف الذي انتقل إلى العربيّة أخيراً (ترجمة وتقديم مروان محمود) عن «دار الرافدين» يعدّ أحد أهم أعمال الفيلسوف النمسوي، إذ يحوي على مجموعة من الفقرات والملاحظات المشغولة بثيمات المعرفة واليقين والممارسات الإنسانيّة. يتّسع الكتاب لمجموعة من الأفكار والمواضيع، إذ يتطرّق فتغنشتاين نقديّاً إلى بعض المذاهب الفلسفية مثل المثاليّة والشكيّة، إضافة إلى مناقشة بعض الأفكار مثل الصور العالية واللغة العادية والجنون.

رواية

محمد آيت حنّا... غابة التأويل

سومر شحادة

يُقدم الكاتب المغربي محمد آيت حنّا على كتابةِ مغامرة في روايته «الحديقة الحمراء» (منشورات الجمل). إذ أنّ لنصه التجريبي القدرة على إرباك قارئه، أمام سردٍ أفقي يصعب التماس بدايته أو نهايته، وإنّما الرواية حديقةٌ مفتوحةٌ على غابةٍ من الأساليب والتأويل.

يُلقي الكاتب على قارئهِ مَهامّ شاقّة إذا ما رغب في القراءة لكاتبهِ المفضل، وقد يجد القارئ صعوبة في الحديث عمّا أحبّ في رواية آيت حنّا، إذ حملت كتابته شيئاً من نزعات الشعر إلى عالم السرد، فكثيراً ما احتفى الشعراء بالنقصان. بهذا المعنى، نجد في الرواية غياباً للقصة المتماسكة، وذكر أحداثٍ مترامية، قد يجمعها عقلٌ ما ويضعها في قالب، كأن الكاتب قد شتّتهُ بلا محدوديّة مثيرة، لتتشكّل قصة الرجلين اللذين تدور حولهما الأحداث: واحدٌ يعيشُ حياةً تائهة وآخر تائهٌ في العالم الآخر يصبو إلى عودة عبثية إلى الواقع. وما الرجلان اللذان يفصّل الكاتب حكايةَ كلّ منهما عن الآخر سوى انعكاس لرغبات بعضهما. فالفجوة التي تفصلهما، تدعوان بالقدر نفسهِ إلى مواساتهما. إنّهما رجلان وحيدان، مشتّتان ومهزومان، هما محض ظلين لرجلٍ فصمهُ الكاتب وطرح باستخدامهِ جملة من الأسئلة الوجودية. إذ تتركز قضية الرواية على سؤال مركب واحدٍ، هو سؤال الحياة والموت. وكلٌ من مركبَي الحياة والموت تدفع بالغربي ينعمرو وبحارس المرمى، إلى شقاء الفرد في مواجهة المصائر القاتمة. فالأول يحدق في موت الثاني الحقيقي، فيما الثاني يراقب حياةَ الأول الأشبه بموت مجازي. يصنع الكاتب عبرهما نصاً شاقاً، مهارتهُ في لغته ومقولاتهِ الفلسفية، إلى جانب الشكل السردي الذي ابتدعه، إذ بضياع البداية والنهاية والعقدة، الرواية لا تنمو، وإنّما تتداح وتتمدّد في فضاءات الآلام والتغريب.

يزعم الراوي، على لسان الطبيب، إخراج الواقع من أزماته، بكونهِ واقعاً ضيقاً ومأزوماً، أمام الخيال، حيث نجد أشكالاً، لطالما اكتنفها الفن، لعوالم مختلفة ومتنوّعة. لكنه يعود ويجعل من الخيال واقعاً بائساً، باستخدامه شخصية الغربي الفصامية، إذ يحاول الطبيب النفسي تحريره من هذيانهِ حيال العالم، بزعمه أنّ أحدهم قد سرق أحلامه، التي ما إن ينقلها الراوي، حتى تدرك ورطة الغربي بسرقة الأحلام، إذ كان يعيش في أحلامه! يقرأ وهو في عيادة الطبيب النفسي نبأ انتحار حارس المرمى، الرجل الذي ينشغل الكاتب بتأليف مشاهداته في العالم الآخر خلال الفصل الثاني من الرواية. ثمة ميل انسحابي لدى الجميع بأن يكون كلّ سواه، الجميع يرغب بالهروب من حياته ويرتو إلى استبدالها بحياة ثانية. يعطي الكاتب، ضمن سرده المتّسق المعقّد، تصوراً نقدياً يتناغم مع ما ذهبت إليه الشخصيات. إذ أنّ كلّ كتابة تتردد أصداؤها لدى المتلقي، كما أنّ كلّ قيمة تقبعُ خارج كيان المعنى بها. لا يُقدّم الكاتب هنا درساً عن العلاقة مع الآخر، وإنّما يعرضُ نموذجاً مبالغاً بالغربي ينعمرو وبحارس المرمى، شكلاً فصامياً لدى الغربي. إنّه يحبّ نهال، ويصاب بهوس بالأيدي جرّاء تشبه علاقته مع البشر، إذ لطالما أحبّ القرب منهم شرط ألا يختلط بهم. بالمثل كانت أمينة، التي ألّفت قصةً عن مغرمة سرية مفترضة حتى تنسجم شخوص الكاتب مع تفكيرها المشبوه عن العالم، قصة حب الغربي تشبه علاقته مع البشر، إذ لطالما أحبّ القرب منهم شرط ألا يختلط بهم. بالمثل كانت أمينة، التي ألّفت قصةً عن مغرمة سرية مفترضة حتى تنسجم شخوص الكاتب مع تفكيرها تواعد الغربي. وقد وافقها، وراحا يتواعدان بناءً على قاعدة «أي شيء أحسن من لا شيء». وبزواج نهال، يكشف لنا الكاتب واحدة من النهايات عن مصائر أناس خياليين، يرتبكون ويتصرفون كما لو أنهم محض ظلال لأناس حقيقيين عبروا حياتهم.

تبدأ حكاية حارس المرمى، إن كانت ثمة إمكانية لبداية في سرد آيت حنّا، من موت ابنته، ولربما تبدأ أسباب كآبته، قبل ذلك، إلا أن موتها يدفع بالرجل، الذي لطالما عُرف على أنه رجل حسابات، إلى الانتحار بركوب سيارته وعبوره سكة القطار. لكن الحيز الذي يتيحهُ له الراوي، ليس الجانب المُعاش، بل إنّه يوثّق عبوره البوابة إلى العالم الآخر، يمسكنه فسحة الضائعين بين الفردوس والجحيم. راح الكاتب، ما إن أطلّت بوابة العالم الآخر على بطله، يثقل على السرد على نحو تداخلت المعاني والصور، حداً يصعب متابعة ذلك الخيط الواهن الذي اشتدّ وهناً بين العالمين... يكون مشهد الطفل المُلقى على الشاطئ، وقد يرى أيّ منا فيه رمزاً سورياً، إذ لا يشيرُ الكاتب صراحةً إلى مأساةٍ سوريةٍ تنازعتها قوى كثيرة، عودةً إلى الواقع حيثُ ترمينا الرواية إلى واقع تشابكَ مع الخيال لفرط قسوته.

لو كان لنا الاستعارة من محمد آيت حنّا، واحدة من مقولات روايته عندما يتحدث عن الحب «لا تهم القصة بقدر ما تهمّ المسارات الداخلية التي يحفرها الحب في نفس المحبّ». بالمثل، إنّه يكتبُ في الحديقة الحمراء قصةً مفكّكةً يصعب الإمساك بها، لكنها تترك لدى القارئ تصوراً موحشاً عن العالم وقد يبحث كلّ منا عن ضلالٍ مقيم كي يبرأ منهُ.

تتركّز قضية الرواية على سؤال مركّب واحد، هو سؤال الحياة والموت

قصة

مصطفى زكي... رعب الواقع

هدى عمران

تصدّرت مجموعة «مسيح باب زويلة» (دار العين – القاهرة) القائمة القصيرة لـ «جائزة ساويرس» المصرية في دورتها لعام 2019. المجموعة هي الثالثة للقاصّ السكندري مصطفى زكي، الذي درس الفلسفة وحاز «جائزة ساويرس» سابقاً عن مجموعته «تأكل الطير من رأسه».

يُصدر زكي مجموعته الحالية بمقولتين لإريك فوتورينو والبرتو مانغويل، تدوران حول الحلم والعالم الآخر الذي تحدث فيه الأشياء. قد يكون هذا العالم في رأس الكاتب أو في إمكانات متعددة وحيوات مختلفة لأحداث القصص.

يبدو أن زكي مهتم ومشغول بهذه الاحتمالات والعوالم الموازية للأشخاص. فهو يطرح سؤال «ماذا لو؟»، لكنه لا يهتم بالإجابات، سائراً بفكرة أن الفن أساسه طرح السؤال، استكشافه لا كشفه، في لعبة يُترك فيها للقارئ فراغ من النص يملؤه كما يريد. هذا النقص الذي ينطلق من الذات لا يسعى إلى التأثير بقدر ما يسعى إلى اكتشاف الذات داخل العالم، وهو يبدو في المجموعة كبيراً جداً إلى درجة يصعب فهمه. ورغم هذا الغموض المجهول الذي يُشعرنا بمسكنة الأشخاص واتساع القدر وسلطته، جاء السرد في عالم مغلق، أبطاله محدودون، ينتظرون قوة أكبر هي المتحكم بمصائرهم. تكمن قوة المجموعة في هذا التناقض، انغلاق العالم واتساع المجهول في الوقت نفسه، إلى جانب التطرف في الإمكانات اللامنطقية للأحداث.

خلال مناقشة المجموعة القصصية في مقر «دار العين» في القاهرة، ذهب الحديث إلى فكرة الرمز الأنثوي وما إذا كانت المرأة دائماً عنصراً متلقياً في كتابات الرجال. هل ينبع الرمز بشكله التقليدي في الأدب من صوت ذكوري؟ تطرح هذه الإشكاليات بقوة حالياً في النقاش الأدبي المصري، ومن حين إلى آخر يتم الحديث عن الكتابة النسوية أو الذكورية على الملأ، وفي الغالب تتم هذه المناقشات في دوائر مغلقة.

في قصته «ما جرى في ليلة مقمرة»، سيتعيّن على الأمهات النوم مع أبنائهن لإعادة تشكيل العالم المستقر منذ زمن. دار النقاش حول أن الرمز هنا مجحف للنساء باعتبارهن متلقيات دائماً لرغبات الرجال. من جانب آخر، كان الرأي الآخر بأن النظرة الرجولية قد ترى أن المرأة هي أصل الأشياء باعتبارها خالقاً للحياة.

لكن بنظرة متعمّقة في قصص المجموعة، يبدو زكي غير منشغل بهذه الأسئلة أو هذا التفريق، فشخوص عوالمه ـ رجالاً ونساءً ـ يتشاركون عدم القدرة على فعل شيء تجاه هذه القوة الكبيرة للمصير والمجتمع والسلطة، كما يحدث في لحظة التفكيك الكبيرة في مجتمعاتنا حيث يتشارك الأفراد الأعباء و القهر وعدم القدرة على ردّ الفعل. ينطلق زكي من الذات التي تمسّ الإنسان ككل، لاجئاً إلى الحياد تجاه النوع، محاولاً الحياد أيضاً تجاه الوصف، متخلياً عن الدرامية. يستخدم في ذلك لغة رشيقة وقصيرة ومتوترة تنبئ طوال الوقت بانتظار شيء سيحدث، ثم تنتهي بفناء ومصير قاتم لكنه باتي بسلالة وهدوء.

على غلاف المجموعة الخلفي، تصدّرت جملة «يواصل مصطفى زكي خلق عالمه الفني الخاص، إلا أنه هذه المرة يدفع بالتوتر والخوف والغموض إلى الحدود القصوى خالقاً ما يمكن تسميته رعب الواقع. يقوم جوهر هذا الرعب على محاولة التعبير عن وجودنا الإنساني المهدد على الدوام. وتنطلق قصص المجموعة من محاولة فهم القوى المهدّدة للشرط الإنساني، والتعبير عن المصير المأساوي للفرد في واقعنا المعاصر».

تتحول كل التفاصيل البسيطة العادية التي يتعرض لها الأفراد إلى مصادر لخلق الخوف والهلع أو تحطيم الحياة رأساً على عقب. يمكن لجرس باب أن يحيل حياة رجل إلى جحيم، وتذكرة قطار أن تفرق بين حبيبين، أو فانيلة تدفع البطل إلى الجنون. وقد تكمن عاطفية الحكايات في هذه التفاصيل الصغيرة التي يحيط بها المرء حياته اليومية وتصبح هي مصدر تهديده. هذه العاطفية لافتة بمعناها الجيد كأنها تلعب بموسيقى خلفية لأشد المشاعر الإنسانية رعباً وبؤساً.

تظهر السلطة بالتأكيد بشكلها المجرد في المجموعة. هي سلطة الموت أولاً الذي يزيل كل شيء في نهاية كل قصة. سلطة أمنية وهاجس بالمراقبة والتحكم لا فكاك منه. سلطة دينية تتجلّى في الشيخ الذي لا يهرم ويمتلك القوى الخارقة ليكون أباً لكل أبناء القرية، ويسعى إلى تشكيل عوالم جديدة، وطبعاً سلطة سياسية تتجلى في قصة «مسيح باب زويلة» حيث «مُخفي الاسم» الذي يتحدى السلطان، فيتم محو اسمه من الذاكرة الجمعية، ويعدم على باب زويلة ثم يبعث من جديد لنشر لعنته على الجميع. هذه الرمزية في الأدب، تطرح أسئلة حول ما يمر به المجتمع اليوم، وعلاقة الفرد الشائكة والإشكالية مع الكل، على رأسها السلطة.

لغة رشيقة وقصيرة ومتوترة تنبئ طوال الوقت بانتظار شيء

أوراق

متى بدأت الكتابة؟

زكريا محمد *

لو سألتَ أحداً: متى بدأت الكتابة؟ فسيكون جوابه هكذا: بدأت الكتابة في سومر في جنوب العراق حوالى 3300 قبل الميلاد.
وربما قال لكَ إنها بدأت في مصر بحدود 3000 قبل الميلاد. وهذا الجواب غير صحيح إطلاقاً. فالكتابة أقدم من ذلكَ بعشرات ألوف السنين. لقد بدأت على الأقل في العصر الباليوليثي قبل 45 ألف سنة برسوم الكهوف في فرنسا وإسبانيا وبعض مناطق جنوب شرق آسيا. بل يمكن القول إنها بدأت قبل ذلكَ بعشرين ألف سنة أخرى. كما تُبين رسمة إنسان النياندرتال في كهف إلكاستيللو في إسباني

■ فالكتابة في الأصل استخدام رموز وعلامات ورسوم لإيصال رسالة ما إلى مشاهد . قارئ ما. وبهذا المعنى، فرسوم الكهوف وعلاماتها كتابة بكل تأكيد، حتى لو أننا لم نتمكن حتى الآن من فكّها وحلّ رموزها. لقد ترك ناس العصر الحجري القديم الأعلى لنا كتاباً هائلاً مكتوباً بالألوان على جدران الكهوف، ومحفوراً على الصخور والعظام. لكننا ما زلنا نحاول تهجئته مثل أطفال دخلوا للتوّ صفهم الأول في المدرسة.
ذلك أن الناس في العصر الحجري القديم الأعلى (الباليوليثي) لم يكونوا يكتبون كما نكتب الآن. كانوا يكتبون الأشياء والأفكار والرموز. وقد انقطعنا نحن عن مثل هذا الطراز من الكتابة، ولم نعد نفهمه. ويمكن القول، بشكل أدقّ، إنه كان هناك طرازان من الكتابة في تلك العصور: كتابة الأرقام، وكتابة الأشياء والمفاهيم. كتابة الأرقام تجري عبر نقاط أو خطوط تُرسم أو تُحفر على الصخور أو العاج والعظام. ولنأخذ لوح مالاتا كمثل على كتابة الأرقام. وهو لوح من العاج يبلغ طوله 11 سم عُثر عليه في «مالاتا» في سيبيريا، ويعود إلى 18 ألف سنة.

رسمة كهف إلكاستيللو تعود إلى 65 الف سنة تقريباً، وتُنسب إلى إنسان النياندرتال

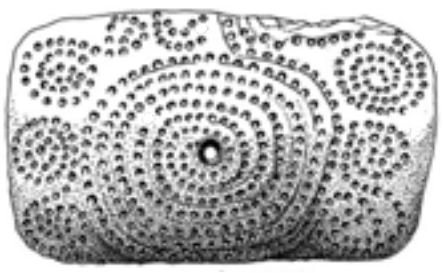

■ حُفر على أحد وجهَي الأول سبع دوائر حلزونية. الدائرة المركزية الكبرى تشكّلت من خلال 243 ثقباً. أما الدوائر على الجانبين، ففي كل جانب 244 ثقباً، أي بزيادة ثقب واحد عن الدائرة المركزية. وليس من شكّ في أننا هنا مع كتابة أرقام، وإن كنا لا نعرف إلامَ تشير هذه الأرقام؟ والاحتمال الأكبر أنها تمثل روزنامة ما. لكن هل كانت لديهم سنة من 243 يوماً؟ أم هل كان لديهم فصل من 243 يوماً؟ نحن لا ندري. غير أن من المؤكد أننا مع كتابة رقمية. وهذه الكتابة كانت موجودة في العالم أجمع. لقد عاش الناس في تلك الأيام في عصر رقمي بدائي. عصر كانت فيه الأرقام قضية مركزية. كان الدين أرقاماً، وكانت الآلهة أرقاماً في ما يبدو. أما الوجه الثاني، فحُفرت عليه ثلاث حيات تختلف حجومها. هذه الحيات ترمز إلى شيء ما لا نعرفه.
وهذا الطراز من الكتابة كان مفهوماً للناس بغضّ النظر عن لغاتهم. فلو ذهب واحد من منطقة البحر المتوسط إلى سيبيريا، لفهم لوح مالاتا أعلاه. فهو كتابة غير لغوية، بل كتابة رموز ومفاهيم وأرقام. وكل واحد يقرؤها بلغته. وخذ أيضاً فانوس كهف لاسكو في فرنسا الذي يعود إلى حوالى 23 ألف سنة.

■ وكما نرى في الصورة في الفانوس، التي تشبه مغرفة، مقسومة إلى قسمين: قسم عليه أربعة خطوط وقسم عليه خمسة خطوط بينها واحد بعيد ومختلف قليلاً. بذا فلدينا تسعة خطوط، أي تسعة أرقام. لكنّ واحداً من الأرقام مختلف. أي لدينا 8+1. نحن نعرف أنها أرقام لكننا لا نعرف إلامَ تشير؟ هل تشير إلى أيام أم إلى شهور؟ نحن لا نعرف. وإن كانت شهوراً، فهل هي شهور قمرية أم ماذا؟ نحن لا نعرف أيضاً. وهناك فوق الأرقام علامتان إلى اليمين واليسار: واحدة تشبه ثقباً وأخرى هي خط متموّج. ونحن لا نعرف إلامَ ترمز العلامتان؟ نقدر أنهما رمزان، لكننا لا نعرف إلامَ يشيران. ويمكن قول الأمر ذاته عن الحيات الثلاث على الوجه الثاني للوح مالاتا. فكل واحد يستطيع أن يقرأ أنها حيات، لكننا لا نفهم مغزى هذه الحيات. فالحيات ترمز إلى شيء ما.
والذي حصل قرب نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد أنّ طرازاً جديداً من الكتابة بدأ على الأرض. فقد كفّ الناس عن كتابة الأشياء والرموز وأخذوا يكتبون الأصوات. أي أخذوا يكتبون أصواتهم التي تخرج من أفواههم. لم يعودوا يرسمون الحية بل صاروا يرسمون أصوات كلمة الحية التي تخرج من أفواههم: ح، ي، ة، وكل حسب لغته. تحولت الأشياء إلى أصوات. جرى تجريد كل الأشياء وتحويلها إلى أصوات. وبدل أن ترسم غزالاً لكي يفهم القارئ/ المشاهد أن في الجوار غزلاناً للصيد مثلاً، فأنت تكتب الأصوات التي تمثل اسم الغزال في فمك. يعني: تكتب صوتك. تكتب: «غ، ز، ا، ل». تكتب رمزاً للغين ورمزاً للزين، وهكذا.
الأصوات حلّت محل الأشياء عند السومريين والمصريين. لكن الكتابة المصرية الهيروغليفية احتفظت بشيء من الكتابة القديمة. فهناك مع بعض الكلمات رموز مُخصّصة ليس لها صوت، وضُعت كي توضح طبيعة الشيء الذي تتحدث عنه الكلمة. ويمكن القول إن هذه الرموز بقية من الكتابة القديمة التي كانت بلا أصوات.

وكان الانتقال من كتابة الأشياء والمفاهيم تطوراً هائلاً. فالأشياء تحولت إلى كلمات. جُرّدت وتحولت إلى أصوات. لكن من ناحية أخرى جعل المجرد ملموساً. فالكلمة الهوائية التي كانت تنطلق من الفم وتتبخّر، صار لها شكل مادي ملموس هو الرمز الكتابي الذي يمكن نقشه على الحجر، أو طبعه على الطين. الكتابة ألغت الأشياء لكنها حولت ما هو أثيري كالصوت إلى وجود ملموس. صار للصوت وجود ملموس.

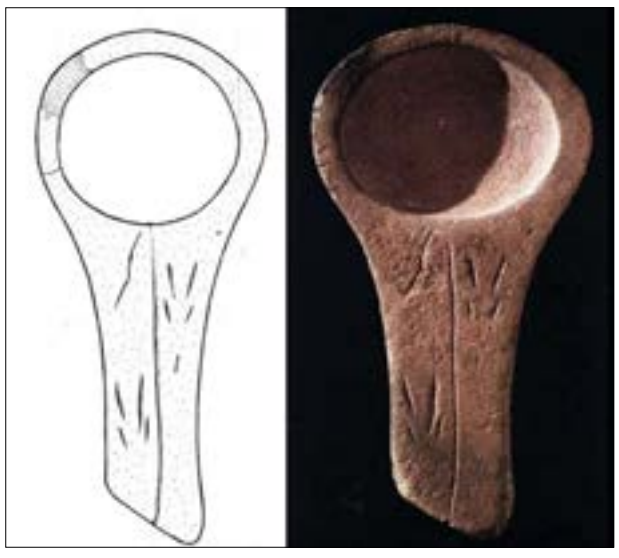

وقد انعكس هذا على مفهوم الأديان للخلق. فالكلمة التي يُفترض أن تكون رمزاً للشيء وإشارة إليه، صارت فوق الشيء وقبله. جاء في الإنجيل: «في البدء كان الكلمة. وكان الكلمة الله». الكلمة هي البدء. هي الوجود الأول، والشيء الملموس يأتي ثانياً. وجاء في القرآن أن الخلق كلمة: «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون». الخلق كلمة. وليست الكلمة انعكاساً ما للأشياء، بل الأشياء انعكاس للكلمة.
على أيّ حال، أعطتنا الكتابة الصوتية ثلاثة أنظمة كتابية في هذه المنطقة من العالم: الهيروغليفية، المقطعية، ثم الألفبائية. الكتابة الهيروغليفية تصويرية في الأساس. لكن الصور لا تُعبر عن أصوات مفردة فقط. فهناك صورة تُعبر عن صوتين أو ثلاثة. أما في الكتابة المقطعية مثل الكتابة المسمارية، فالصوت يكتب مع حركته. بذا فحرف العين له ثلاثة أو أربعة أشكال: (عَ، عُ، ع، عْ). عليه فلغة فيها ثلاثين صوتاً تحتاج إلى 120 علامة كتابية. وكذا الأمر في مقطعية جبيل من القرن 17 قبل الميلاد تقريباً.
أما النظام الألفبائي الذي وُجد بين عامي 1500-2000 قبل الميلاد، فقد رمى الحركات. رمى حروف العلة القصيرة، وصار يكتب الصوت الصامت فقط. وهكذا تقلّصت الرموز الكتابية إلى 30 أو 29 رمزاً فقط. وقد استند هذا النظام إلى المبدأ الأكروفوني. وهذا المبدأ يقول: إذا أردت تمثيل صوت من الأصوات، فابحث عن شيء يبدأ اسمه بهذا الصوت. ثم ارسم صورة هذه الشيء لكي تصير هذه الصورة رمزاً لهذا الصوت. يعني: إذا أردت أن تكتب «عمر» فابدأ بالصوت «ع». وخذ كلمة «عين» التي تبدأ بصوت «ع» وارسمها لكي تصير رمزاً لحرف العين. ثم اذهب إلى الصوت «م». وخذ كلمة «ماء» التي تبدأ بهذا الصوت، وارسم ماء متموّجاً لتصير هذه الرسمة حرف العين. أما الصوت «ر»، فخذ «رأس» إنسان وارسمه لكي تصبح الرسمة رمزاً للحرف «ع». وهكذا تصير لديك كلمة: عمر.

■ على كلّ، فإن الفينيقيين قلّصوا جدول الحروف من 29 حرفاً إلى 22 حرفاً. وأغلب الظن أن هذا حدث على يد أبناء الجاليات الفينيقية في الجزر اليونانية. أما اليونانيون فقد أعادوا حروف العلة القصيرة إلى الكتابة الألفبائية، أي جعلوا الضمة والفتحة والكسرة حروفاً. وهم يعتقدون أنهم بهذا جعلوا الأبجدية أبجدية. وهذه مبالغة كبيرة. فلكي ننتقل من المقطعية إلى الأبجدية، كان على الناس أن يرموا حروف العلة القصيرة. أي أن يكتبوا فقط الأصوات الصامتة. وحين رسخت الكتابة الألفبائية، صار بالإمكان استعادة حروف العلة- الحركات.

كلمة عمر مكتوبة انطلاقاً من المبدا الاكروفوني

* شاعر وباحث فلسطيني